مورستان

أزهـــــار

ⓒ ازهار محمد عبدالرحمن القبوري ، ١٤٤٦هـ

القبوري ، ازهار محمد عبدالرحمن
مورستان. / القبوري ، ازهار محمد عبدالرحمن - ط١. .- جدة ، ١٤٤٦هـ

١٤٢ ص ؛ A5 سم

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٥٩٥٤
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٥-٤٤١١-٠

"حيثما يصبح الشغف حقيقة،
وتكون المواهب أقوى من الأسماء"

AUTHORSFORUM AUTHORSFORUM1

مورستان

أزهـــــار

الطبعة الأولى

2024م – 2025م

من الفصحى للعامية

ما بيـــن المعقـــول و اللامعقـــول

وما بين الصراع بين الحق والباطل

وبين الخيـــال والحقيقـة

وما بين القديم والحديث

يأتي حور بطل الرواية رمز الفطرة الصـــافية يدخلنا عالم الخيال الغامض بمشـــهد يتوســـط الرواية ممزوجاً بين الخيال والحقيقة والقديم والحديث في مقبرة فرعونية قديمة

تظهر لنا بعضـــاً من ما كانوا عليه من القيم والمعتقدات في ذلك الزمن القديم تتوالى الأحداث في عربة يجرها الخيال محاولات الوصول لقلب الحقيقة والنور

أزهار

(1)

صـوت الباب يفتح ببطء كأنه طفل يبكي وسـط الظلام، تظهر لنا صورة طاولة قديمة مجهدة من الزمن، عليها شمعة بضوء يرتجف هنا وهناك، تظهر لنا غرفة قديمة جدًّا، كل ما فيها قديم ومجهد، من لون الحائط القاتم الأسـود إلى كرسـي خشـبي قديم خرج منه فتات الخشـب العتيق، عليه قطعة من الصـوف القديم. النافذة مغلقة بإحكام، يعلوها غبار كثيف، تظهر لنا الشـــمعة سـجادة قديمة مقطعة، شـراشـفها على السـرير الحديدي. مرتبة مهملة بلا شرشف يغطيها ووضعت فقط هكذا عشوائيًّا.

جلس عمر، شاب كهل وكهل شاب، له لحية كثيفة وأيدٍ مرتخية، ينظر... ينظر إلى اللاشـيء، إلى سـقف الغرفة، حيث لا شـيء فيها سـوى الشـمعة الموجودة على الطاولة والمعطف الذي تعلوه طبقـة من الغبـار الكثيف. تبـدو عليـه الكـآبـة وقليـل من الاضـطراب، ضـوء الشـمعة يرتجف هنا وهناك فوق النافذة حتى توقفـت على وجـه عمر، ولكن هـذه المرة توقفـت ودارت، حيـث ظهرت لنا رأس ثانية في جســـد عمر! تشـــبه عمر تمامًا، ولكنها ليست عمر! الرأس الثانية كانت نائمة.. بعمق مبتسمة.

عمر:

"اســـتيقظ أيها الأبله!" لكن الرأس الثانية لا تجيب. يهز عمر بقوة ولكن بلا استجابة.

عمر: "حور! حور!" ولكنه لا مجيب. كان حور جميل الوجه يشــبه عمر كثيرًا لكنه أبيض البشــرة، أبيض الشــعر، بدون كهولـة، وبخـد أبيض وردي جميـل. في عينيـه نعـاس وهـدوء وسـكينة، وعلى جبهته عرق أخضـر يبرز عند الغضـب فقط. كان عمر وحور توأمين ملتصــقين برأســين وجســد واحد. عمر أســمر عبوس، مقطب الحواجب، لا يعرف الابتسـامة، يغضـب بسـرعة ويهدأ بسـرعة، بينما حور أبيض جميل، موحد اللون، عليه ملامح السكون والابتسامة، وعيناه دائمًا متجهة إلى السماء.

كان متعبًا بقوة، يفتح عينيه ينظر إلى عمر ويبتســـم وكأنه يسخر منه ليتكلم بقوة:

"صباح قديم بوجه قديم يا عمر".

عمر:

"وما هو الجديد يا حور؟"

حور:

"إنك لم تسمعني وأنا أحلم؟"

عمر: "وبماذا تحلم يا حور؟"

عمر: "أنا جائع يا حور".

حور يضحك: "لماذا أنت جائع؟ أولم تشبع من كل هذا الظلام يا عمر؟"

عمر بسخرية: "شبعت من وجهك القديم، لكن لم يشبع بطني. هيا قم أيها الأبله".

حور:

"هذا فطوري من الأحلام يا عمر".

عمر:

"أرجوك، لا أريد أحلامًا، أريد طعامًا ساخنًا".

حور: "متى الفصل؟ متى تفتح النافذة؟"

عمر:

"أيها الضـــعيف، لماذا أنت روحاني بهذا الشـــكل؟ ألا تحس بالجوع؟"

حور:

"قلبي شـمسـي وقمري، وجسـدي مفصـول، وسـار بعيدًا عني في سماء مجهولة يبحث عن النور ولا يراه، كأنه طائر مربوط بالشجرة تكاد تنهار ولكنها لا تنهار".

عمر:

"لماذا يا حور؟ لماذا كل هذا؟ أنت لماذا لا تشـــتهي الطعام؟"

حور: "أنتظر من يـأتيني بـه. تـأخر، لكن أحلامي تقوم بالواجب دائمًا".

عمر:

"نعم، متأخر. كل هذا وأنا وحدي أشعر وأنت لا تشعر".

فجأة صـــوت قوي يدق الباب، يقوم عمر بســـرعة لكنه يجلس، ولكن حور لا يقوم بسرعة.

عمر:

"بسرعة، حاول!"

يصرخ عمر في حور:

"ألا تســـمع أيها الأبله؟ هذا صـــوت الطعام، وهذا عم سعيد. لا حول ولا قوة إلا بالله".

يمشـي حور ببطء شـديد، يمشـي عمر وحور عند الباب وكأنه يجر حور جَرًّا. حور:

"لا تفتح الباب، جرب أن تطير بدل المشـــي وحلق في سماء كتب عم سعيد بدلًا من طعامه".

عمر: "اذهب أنت وكتبك إلى الجحيم، ولا تأكل معي".

يفتح عمر الباب بغضب، ليظهر لنا رجل عجوز يلبس ثوبًا فضــفاضًــا، ينظر لهما كأنه خائف منهما. يقتربان منه، ومن يده الســمراء العجوز وهما مبتســمان. عمر وهو ينظر للأكل ســعيدًا: "إزيك يا عم". بينما حور يأخذ يده ويقبلها. يســحب عم ســعيد يده من حور. حور: "هل أنت بخير؟" يناولهما الطعام وبعضًــا من الكتــب الهــالكــة: "ده اللي لقيتــه النهــاردا، نعمــة. انتبهوا على روحكم". ويضع الأكل بسرعة ويغلق في وجههم الباب. يمسك عمر بالطعام، لكن حور واقف يتفرج على عمر ويضحك.

عمر:

"أبله، هل ستأكل معي أم ماذا؟"

حور:

"تأكل عينَاي الجميلة أولًا، يجب أن تأكل أنت أولًا يا عمر".

عمر:

"كفاك سخرية، اجلس وكل معي الطعام".

جلس عمر وحور. كان عمر يأكل الطعام بسرعة، وحور يمضغ ببطء كأنه لا أسنان له. وبينما حور يمسك باللقمة تلو اللقمة ويمضغ ببطء شديد، انتهى الطعام في بطن عمر، وحور لا ينتهي وما زالت الشمعة ترتجف وتحكي. مشهد من الطعام لا ينهيه حور أبدًا ، حتى بدأ يقرأ في أحد الكتب القديمة وما زال الطعام في فمه يُمضغ. أنهى عمر بشخيره القوي، وما زال الطعام في فم حور لا ينتهي منه. استيقظ عمر يتثاءب بشدة، أحس بضيق شديد في صدره.

ينظر عمر إلى الشمعة في اشمئزاز: "يوم بلا شمس كالمعتاد". ينادي:

"حور، استيقظ".

استيقظ حور، ولكنه لا يفتح عينيه كأنه يحلم. عمر:

"يجب أن أتأكد أنني حي من أمس".

حور نائم لا يجيب. عمر يدندن أغنيته المفضلة وكأنه يصرخ ويصرخ ويصرخ، لكن حور نائم. بدأ يفتح عينيه على أغنية عمر، يبتسم، ويغني عمر أغنيته التي كتبها بنفسه:

"سقطت تفاحة وفي حضنها الأرض والحلم والهواء، سقطت تفاحة حمراء، سقط آدم وحواء، سقطت البداية..

حمراء، خضـــراء، زرقاء، صـــفراء، وفُتحت أرض، فُتح نبض! وغسلت عذرية السماء..."

عمر يسكت. يضحك حور:

"تفتح ماذا؟ قل مرة أخرى؟ هل في هذه الدنيا من يتغنى بالدماء؟

من الذي علمك هذه الحروف في رأســـك الفاســـدة يا عمر؟ ولماذا تغسل العذرية؟ إنني أراها في كل مكان. انظر لعذرية المبادئ في نفرتيتي، لا يهزها شـيء". ينظر حور لتمثاله المفضـل وهو على الطاولة. التمثال كان برأس نفرتيتي وجمالها الذي لا مثيل له، بعينها الواســـعة المملوكة ولكنها بعين واحدة، لا عين ثانية لها.

عمر بأسف على نفسه:

"متى أخرج من هذه الجرة المقفلة علينا؟ لا شـــمس لها ولا قمر يا حور. بدل هذه الأغنية الغبية دعنا نفكر بالخروج يا حور".

حور يســـكت، لا يعرف ماذا يفعل. فجأة تغير وجه حور وبدأ يضرب وجه عمر.

عمر:

"ماذا تفعل أيها المسخ!!؟؟"

حور:

"إنه عنكبوت ضخم يحاول أن يغرز في وجهك يا عمر!!"

عمر:

"اتركه، ربما هو من يحس بنا".

حور:

"لا أريده، لا أريد العناكب. أريد أن أشـــم رائحة جميلة ناعمة، وجه نفرتيتي الجميل. نحن مقصـــرون في بنائه، كل هذا العمر لم نستطع إكماله. يا لوجهها العذب! أتعرف يا عمر، أنا لا أريد أبدًا إكماله، لا أريد ليدي أن تفارق هذا الجمال". يســكت قليلًا ويكمل: "لماذا تحب هذه العناكب؟!"

عمر:

"وماذا نفعل؟ هل تأتي لنا يا حور بامرأة تبرد على قلبك وقلبي؟ نحن قلبان لا يلتقيان يا حور".

حور:

"لن أرد عليك".

عمر: "فلتذهب للجحيم".

حور:

"أيها الأبله، لن أعطيك حلمي ولا وجهي. أنا أعرف كيف يصير وجهي يشبه وجه نفرتيتي الحالم ويحقق شيئًا يومًا ما، كما حققته نفرتيتي تمامًا".

عمر:

"لماذا تأخر علينا اليوم عم سعيد؟"

حور:

"ربما له ظروف، أيها الجائع دائمًا. أولم تأكل قريبًا؟"

عمر:

"نحن لسنا الملائكة التي لا تسكن الأرض. أريد طعامًا، بدأت أجوع. أريد أن آكل لحمًا طازجًا".

حور:

"لم أحس بشيء من الجوع يا عمر".

عمر:

"الطعام!"

حور:

"منذ زمن بعيد يا عمر، أتذكر أمي وأبي، والله ما زلت أشم رائحة أمي وأبي في كل مكان".

عمر:

"أمك التي لم ترَها يا حور منذ زمن، هل تذكرها؟ أنا لا أذكر شـــيئًا، وأبوك أين هو؟ لقد ذهب.. لقد ماتوا.. لأننا هنا منذ عشـــرات الســـنين ولم يأتِ أحد إلى هنا ســـوى هذا الرجل الذي اســـمه ســـعيد، يأتي بالكتب الحمقاء والطعام، ولا يتكلم كأنه شبح، ويمضي سريعًا ويذهب كأننا في كوكب آخر".

حور:

"أمي رائحتها ناعمة وحزينة".

عمر:

"أمك التي أتت بك معي في جسـد واحد قد أتت بنا إلى الدنيا، ذهبت مع الريح. كل يوم أمي نفرتيتي! ألا تتعب؟!"

حور:

"هاتِ التمثال، تمثال العظيمة الجميلة نفرتيتي. ليس لنا شيء سواه، ولا أقبل شيئًا معك من هذا الهراء".

عمر:

"أنا جائع! أنا أنشـــد الله أن نموت! تمثال من؟ فلْتذهب نفرتيتي إلى الجحيم، أصلًا هي في الجحيم".

حور:

"كلا -إن شاء الله- هي في النعيم".

حاول حور أن يوقف عمر، ولكن عمر لا يقف.

عمر:

"أقول لك أنا جائع".

حور:

"هيا عمر، لنفعل شـــيئًا جميلًا، مزاجي مختلف لهذه الليلة".

عمر:

"لا، لن أفعل ذلك الشيء، إنه لا يكتمل أبدًا".

حور: "حاول".

عمر:

"كم لنا في هذا التمثال الذي يُسمى نفرتيتي البايخ جدًّا؟ كما أن وجهه مليء بالتجاعيد ومختلف عن بقية التماثيل. من أين لها هذا الجمال الذي تتكلم عنه؟"

حور:

"أتعرف التجاعيد يا عمر، الذي يفكر في الطعام فقط؟ إنها ترمز للزمن، مهما تقدم الزمن ستبقى الجميلة بجمال مبادئها.

ثم إني أراها جميلة الجميلات وأنت تراها عجوزًا بشعة. كلٌّ يرى الناس بعين طبعه".

ينهض عمر وحور بعد أن فقد عمر أي فرصة أخرى لبقاء الوقت معًا. تبدأ كفوفهم بالعمل من تراب وطين. كان التمثال لنفرتيتي الجميلة بعينها السوداء الواسعة، ولكن إحدى عينيها ما زالت مضروبة، عوراء بلا عين.

عمر وهو يضحك يغضب:

"لماذا هي عوراء إذًا؟"

حور:

"الآن تسأل؟ إنها فقدت حبيبها وزوجها العظيم أخناتون".

عمر يضرب التنسيق بينه وبين حور في بناء التمثال القديم الذي بنوه منذ سنوات ولم ينتهِ. كان التمثال يتحدى قدرتهم على الاستمرار، ولكنهم ما إن يبدؤون به حتى تصيبهم حالة من الجنون والإحباط، فيرميه عمر أرضًا، خاصة عمر الذي يحاول كسره، ونفرتيتي صامتة لا تكسر أبدًا. حور يحاول رفعه من الأرض.

أمسكه بلطف شديد كأنه طفل صغير.

عمر:

"(ينشـد) عيني تدور برأسـي، عيناي أفق عناكب صـيغ بالخيوط طريقه".

حور:

"عمر، ما الذي بينك وبين العناكب؟"

عمر:

"أنت يا حور، أنت أنت! ما هي العلاقة بيني وبينك؟!"

حور:

"نحن كلنا واحد".

عمر بغضب:

"لا إله إلا الله، رحمتك يا ربي رحمتك، الحمد لله أني استحملت سخفك كل هذه السنين. اسمع يا حور، أنا أريد أن آكل الفأر الذي في السجادة. سمعت أم لم تسمع؟"

يكمل عمر:

"سـننتهي من نفرتيتي، متى يا حور؟ إنني جائع. لماذا تأخر علينا سعيد؟ ألا يحس بنا؟"

عمر ينزل لوحده للأرض، يميل معه حور. ينشد عمر:

"يا حذائي سآكلك كأحلامي، وتبدأ رحلة الجوع".

حور:

"وكأننا أجزاء يا عمر لفظتها الحياة جملة فلم تكتمل. يا عمر، نجدف كلنا بلا فائدة في بحر الحياة الواســـع. يا عمر، قلوبنا يا عمر ترتقي ولا تنكسر ولا تنحني".

عمر:

"نموت كلنا ولا نموت، لا شـــمس ولا ليل ولا مكان ولا زمان، يا رب دائمًا هكذا. كل هذا العمر طوله ونحن اثنان. أفرجها علينا".

ويبكي عمر:

"ما أصعب الحياة يا حور!"

حور:

"معك حق، فقط نحن جســـد واحد وقلوبنا مختلفة يا عمر. سعيد لم يأتِ هذه الليلة أيضًا".

حور:

"كأن الزمن توقف، لا أعرف يا عمر".

يستيقظ عمر من فكره وكأنه كان في حلم بعيد فجأة:

"أنا جائع أيها الحيوان!"

عمر يكمل غاضبًا:

"رد عليَّ، رد، لم آكل شيئًا، لم يحدث لنا شيء!"

يضحك حور وهو ينظر إليه:

"لا تقتلني بجوعك يا عمر، ليس لي غيرك، أين ذهب؟ لا بد أن نذهب معه!"

عمر:

"لا بد أن أكسـر هذا الباب، الجوع يقتلني ولكن لا حول لي".

حور:

"دعنا ننام هنا".

يفتح عمر عينيه:

"ولكن لماذا لا تنام؟ كيف أنام وأنت لا تنام؟"

حور لا يرد.

عمر:

"اسـتيقظ من أوهامك، اسـتيقظ من نفرتيتي يا مجنون. يبدو أن هذا الرجل لن يأتي، لنا ثلاثة أيام!"

عمر يقوم، ويحاول أن يقوم، وهو يحاول أن يقوم:

"لا بد أن نقوم، لا بد أن أعمل شيئًا، يا الله".

حور:

"يا عمر، وماذا نفعل؟ من يفتح لنا الباب؟"

عمر:

"نحاول نفتح الباب، لكن لم نفعل ذلك منذ زمن بعيد. لا بد أن أفتح الباب يا حور! افتح الباب!"

حور:

"أين أمي؟ كيف أفتح الباب بدون أمي وأبي؟!"

عمر:

"أيها المجنون، لا يوجد غيرنا، أنا وأنت، سنموت".

عمر يقف ويجبر حور على الوقوف بقوة حتى يصحبه إلى الباب.

عمر:

"أيها الغبي، ماذا تفعل؟!"

حور:

"لا بد أن نرجع، عمر، لن نفتح الباب، لكن كيف نفتح الباب؟ افتح الباب!"

عمر:

"تعال نفتح الباب".. وكان الجو مشحوناً بالجنون والقلق.

حور:

"ليتَه يتكلم، هذا الباب المغلق من سنين".

عمر:

"افتح لنا الباب. اذهب أيها المجنون، اذهب".

حور:

"انتبه، نفرتيتي يجب أن تكون معنا".

عمر:

"هي لن تفتح الباب".

حور:

"لماذا تقول هذا الكلام عليها؟ لا إله إلا الله. هي قلبي وحياتي كلها".

عمر:

"قم يا حور، اترك الهراء وقم للحقيقة، يجب علينا الخروج. يكفي علينا هذه الجمادات".

عمر:

"قم وافتح الباب".

حور:

"كيف أفتح الباب؟"

عمر يصيح ويتعرق بغزارة:

"يجب أن نخرج يا حور. لقد متنا ولن يدفننا أحد، والشمعة بدأت تنطفئ".

وأظلم البيت وانطفأت الشمعة.

عمر:

"قم، قم، قم، قم أيها المجنون، قم!!!"

حور يبتسم ويبكي:

"أيها المجنون!"

قام عمر يفتح الباب، يحاول، يحاول، لكن بكرة الباب ثقيلة جدًّا. يحاولوا أن يفتحوه بأرجلهم. يدقون الباب ويدقون حتى ارتموا على حافة الباب. فُتح الباب وحور وعمر على الباب، حور على عتبة الباب ينظر للأفق طويلًا.

حور:

"كأن للأرض رائحة تأتي بنفس من الليل".

جلسوا ينظرون إلى السماء، ينظرون، ينظرون ولا يملون.

أخيرًا حور:

"أخيرًا، كيف كنا عايشين في القبر هذا يا عمر؟ لا نريد الطعام، نريد السماء".

عمر:

"كيف نريد طعامًا؟ ولكن فعلًا يا حور، منظر السماء ساحر، جبار. حتى الأرض جميلة، هي رائحة الطين والزرع والطعام. وأخيرًا فتحنا الباب، لماذا لم يفتح الباب؟ لماذا كنا أغبياء طوال هذه السنين؟ لماذا سُجِنَّا؟"

حور:

"قل لي من الذي سجننا؟"

نظر إلى يده:

"انظر يا عمر، نفرتيتي في يدي. قلبي يستنشق الهواء".

يكمل حور:

"الله، نسيت أن هناك هواءً!"

"والله هذه المفاجأة! نفرتيتي أنا وأنا نفرتيتي. لن أتركها. لا بد أن تكون معنا، الله يجمعنا هناك أيضًا في الدنيا والآخرة الكبيرة الحلوة هذه. أين عم سعيد يا تُرى؟ مات؟"

عمر:

"أنت مجنون، أنت مجنون جدًّا يا حور!"

حور:

"ليتني ألقاها".

عمر يمسك تمثال نفرتيتي ويقول:

"ليتني ألقاها وأتزوجها بدلًا منك!"

حور:

"لأول مرة عمر! أجننت؟ كنت تكرهها وتقول إنها من الأحجار!"

عمر:

"استيقظ، نحن خارج الحجرة يا مجنون!"

حور:

"ماذا سنفعل؟ نحن لا نملك أي شيء سوى نفرتيتي الجميلة، وهي فعلًا جميلة وشاعرة، لكن ربنا معنا".

عمر:

"أين هو سعيد؟ هذا الرجل قد يدلنا على شيء".

حور:

"عمر، سعيد كان يأتي منذ عشرين عامًا ولم ينقطع عنا. قد يكون توفي يا عمر، لا ندري، كل ذلك في علم الغيب".

عمر:

"بارد! لماذا أنت بارد بهذا الشكل؟ ماذا سنفعل؟ أول مرة تقول كلمة حق. هل مات سعيد؟ حور، سنذهب... أين يا تُرى؟ هل ماتوا؟ أمي وأبي... اشتقت لأمي!"

حور بسخرية:

"روحي مع روح أمي لم تفترق يا عمر، يا عمر اصبر، ليكن فكرك ولو لمرة واحدة جميلًا وأبيض! انتبه، هذه أمي وأبي، رمز وجودنا في الدنيا".

عمر:

"أيها الأبله، ماذا سنفعل؟"

حور:

"أنا متأكد أنهم على قيد الحياة، أمي وأبي على قيد الحياة". يكمل حور وهو ينظر لنفرتيتي: "لا إله إلا الله، ليتكِ يا نفرتيتي تنطقين. جئت إليكِ ألملم روحي القتيلة، ذاكرة الأرض قصيرة، جسدي يتدحرج وروحي فيه مثل دمل".

بدأ حور يبكي بشدة، وعمر يصرخ، وما زالوا على عتبة الباب حتى غشيهم النعاس والتعب، وذهبا في نوم عميق...

صوت رعد يهدر، صوت كبير يرج جسدهما ويرج الأرض معهم. فجأة، يهطل المطر كثيفًا، تبللا تمامًا، وتبللت الأرض من تحتهما. صـــارت الدنيا كلها مبللة، وصـــارا يبكيان كالأطفال، يضحكان، يمسكان بعضهما ويصرخان: "مطر! مطر! مطر!"

وما هي إلا لحظات حتى غرقا في مياه كالسيل الكبير.

هو نهر فعلا! اشتد جريانه بشدة المطر بدأ يشتد واشتد من فوقهم ومن تحتهم جريان النهر يشتد.

حور:

"رحمتك يا رب!"

عمر:

"للموت! للموت يا حور، سنذهب للموت، ربنا ارحمنا يا رب!"

وفجأة اصـــطدما بصـــخرة، فصـــلتهما تمامًا. وتكســـرت نفرتيتي تمامًا، واختفيا عن بعضهما...

حور يبكي:

"لا تذهب عني!"

عمر يصيح:

"أنا خائف! أحبك يا حور! أحبك!"

حور:

"لن أذهب".

عمر يبكي ويصيح حتى انقطع صوته.

حور:

"أين أنت؟!"

عمر يصرخ بشدة، وحور فُقد تمامًا. صار عمر مجنونًا وهو يصيح:

"أنت حور! أنا أحبك!"

وكان عمر يبحث عن رأسه الآخر:

"لا تتركني وحدي يا حور! أنت نصفي! أنت روحي! أن.."

ولكن لا أحد يرد. فجأة، توقف عمر وأُغمي عليه. انتهى به المطاف في بلدة عتيقة قديمة، ولم يستيقظ إلا على شمس دافئة تضرب وجهه. استيقظ، ولكنه لم يقدر على فتح عينيه إلا بقوة. هدأ عمر وكأنه في حلم بعيد. بدأ يجف ويختفي الماضي، كل شيء جديد الآن. البنيان قديم جدًّا، طلاء المباني تقشر تمامًا، وبدأ العظم في الظهور. الشارع قديم جدًّا، وتمشي على متنه مياه عكرة راكدة، والشمس ساطعة جدًّا، تضرب أشعتها بقوة

في رأس عمر كأنها توقظه بقوة. نهض عمر، لم يستطع، حاول مرة أخرى، لكنه ارتمى على الأرض.

كانت رائحة الشوارع القديمة تحته، مياه لا تجف أبدًا، ملقاة في الشارع. أمامه نفاية مليئة لآخرها، وأطفال صغار يلعبون ببكرة من المطاط، يقفزون من فوقه ولا يأبهون به.

عمر:

"أنتم يا أولاد! ألا ترونني؟!"

لا أحد يرد عليه. ظل ينظر بقوة وبإعياء شديد للناس. مرت بجانبه عربة خشبية عليها خضار وطماطم، والرجل ينادي: "طماطم! يا مجنونة، يا طماطم!"

التف حول العربة نفر من الناس يبتاعون من الرجل، وكان عمر يتأملهم وهو مستند على جدار قديم مشقق، والناس من حوله يمشون، لكنهم لا ينظرون إليه. حاول أن يكلمهم، يلمسهم، يمسك بتلابيب ملابسهم، ولكنه لا شيء. لم يلحظه أحد، لم يسمعه أحد، أي أحد. كان يصيح ولم يسمعه أحد منهم أبدًا. الكل كان يرتدي الجلابيب، وفوق رؤوسهم الطواقي الصغيرة.

مرت بجانبه امرأة سمينة تضرب ابنها الصغير:

"مش قلت لك ما تخرجش للشـــارع إلا مع أخوك يا ابن الجزمة! تلعب في الشـارع ليه؟ ومخليني وراك زي المجنونة يا ابن العبيطة!"

تحرك قليلًا، لكن لا أحد يراه. بدأ يمشـــي قليلًا، حتى سمع صوت الأذان. ابتسم قليلًا وانشرح صدره. حاول أن يكلم أي أحد يمر بجانبه، أمســـك بأيديهم، لكنهم لا ينظرون إليه. تكلم معهم، لكنهم لا يسمعون، لا يحسون.

عمر:

"أنا فين؟ ليه ما حدش شـايفني؟ ليه ما يسـمعونيش؟ مش حاسين بيا ليه؟"

حتى مرت به طفلة تتنطط هنا وهناك. أمسـك يدها بقوة، ولكنها لم تحس بشـــيء. التفتت إليه فجأة، ابتســـمت له، وأخرجت لسانها وهربت.

حاول اللحاق بها، لكنه كان مجهدًا. مر بجانبه طفل صـــغير ذو جلابية مخططة، أمســـك بيده وقبّلها، نزلت دموعه، لكنه تركه يمشـــي في حاله. تنهد عمر وهو يتذكر لســـان الطفلة وابتسم:

"لا إله إلا الله، أخيرًا حد حس بيا".

حاول المشـي، لم يسـتطع. حاول، حاول، حاول، لكنه لم يسـتطع. صـار يمشـي بقوة، حاول أن يمشـي، حتى مشـى مجهدًا وأُغمي عليه مرة ثانية.

مر زمن على عمر، ولم يحس به أحد، ولم يحس بأحد. كم من لحظة من اللحظات مرت عليه.

فتح عينيه وكأنه في حلم بعيد، وبدأت الصورة تتضح شيئًا فشيئًا.

"أنا حي لسـه؟ مين اللي جابني هنا؟ هو ده بيتنا؟ آه، ده بيتنا فعلًا!"

نظر إلى الجدار الأزرق المشقق، ابتسم.

"أيوه، هو اللون الأزرق ده".

نظر إلى السجادة وضحك فرحًا:

"هي دي السجادة بتاعتنا اللي كنت بلف فيها حور".

نظر إلى الكنبة وقماشها المشجر بورودها الكبيرة:

"هي دي الكنبة أم الحنية كلها!"

ابتسم وأغمض عينيه وتنفس:

"أخيرًا، أنا في بيتنا".

فتح عينيه على صـوت جميل حنون للغاية، صـوت قادم من حجرة بجانبه. جرى عمر وفتح باب الحجرة، فرأى فيها قمة أحلامه، أمه وأباه. صوت يعرفه يرتفع من جديد، تدمع عيناه:

"أماااااااه! أمي حبيبتي، روحي، أمي! أنتِ عايشة، أمي!"

جرى عمر واحتضنها بقوة، لكنها لا تحس به. ناداها:

"أمي! أنتِ مش عرفتيني؟ أنا حبيبك، أنا ابنك! يا حتة من روحي، أنتِ يا قلب عمر!"

المرأة لا ترد وتسـتمر في إيقاظ زوجها بيدها السـمينة الحنونة البيضاء، ذات العروق الكبيرة، والأظافر المقصوصة تمامًا، وجلابيتها الخضراء المقلمة:

"فتحي، قوم، قوم يـا فتحي! يـا فتحي، يـا فتحي، يـا فتحي!"

فتحي:

"نعم".

عمر:

"أبويا!"

يجري عمر يمسـك برأسـه يحضـنها بقوة، يقبل رأس أبيه كثيرًا ويشـم رأسـه ويقبلها، يحس بعرقه الحار وهو يتصـبب على

جبهته. "أبويا حبيبي أبويا" وهو يكاد يفتح عينيه بالقوة من الفرح والدموع المنهمرة من عينيه، وصدره تبلل بدموعه وشهيقه. "أمي أعرفها! أمي!" جرى عليها يحتضنها قبَّلها حتى قدمها، سلم على يديها، على رأسها، على قدميها. إنها لا تعرفه ولا شيء يحدث له، ولا أحد يحس به وكأنه ليس موجودًا. عمر يصرخ: "إنتو مابتسمعونيش ليه؟ إنتوا مابتحسوش بي ليه؟" فجأة خرج فتحي من الحجرة ورجع إلى نفس الحجرة، وعند الباب أمسك عمر بيديه يقبلها ويقبلها حتى مال على قدمه، ولا أحد يحس، ولا أحد يرى ولا يسمع. جلس فتحي وهو ما زال شابًّا في أواخر الشباب، لكن الشيب ملأ شعره وظهره مُنحنٍ وعيناه مهدلتان مكسورتان. قبَّل فتحي رأس أمه صباح، كانت جميلة كالصباح، بدينة مبتسمة، لكنها تحمل كسرة العين والظهر المَجنيّ عليه. كانت شابة ولكن التجاعيد ملأت يديها ووجهها، وظهرها مُنحنٍ وعلامات السكينة على وجهها وتقول:

"ما رحتش تجيب الفول ليه؟"

ينظر إليهم عمر ولا يصدق ما يحدث. كانت الحجرة لم تتغير من صغره، سرير حديدي ضخم يتوسط الحجرة نفسها، وستارة مغلقة ذات نقوش كبيرة، وكنبة صغيرة تحت الستارة تبدو

بقماش مهمل، تتخلله تشـــققات صـــغيرة معبرة عن الزمن. كان عمر ينظر إلى الحجرة، يســـترجع ذكريات غير مكتملة قديمة، أكل منها الزمن ما أكل. ارتفع صوت فتحي يقطع ذكريات عمر.

فتحي:

"إنتي شـــايفاني تعبان وإنتي مش حاســـة بيا ولا إيه يا صباح؟"

عمر:

"هي أمي، آه أمي، اللّـه ريحتـك يـا أمي، من زمـان ماشـفتك، ربنا يخليكي لي ولا يحرمني من ريحتك أبدًا". يجري إليها يقبلها مرة أخرى. صباح:

"آه يا فتحي ما أخدناش حاجة من شـغلنتك دي إلا الهم وهدة الحيل اللي مش جايبة همها حتى، لكن أحســـن حاجة تعملها في حياتك إنك تروح تجيب الفطار عشان تسند نفسك".

فتحي بسخرية:

"عشان تسندي نفسك يا أختي".

صباح:

"تبتسم وتغمز له، طيب جيب لأمك بلاش احنا".

نظر إليها فتحي:

"أمي، آه نسيت".

يجري فتحي يخرج من الحجرة قليلًا ويرجع في يده طبق من الفول الساخن وضعته صباح على فرشة قديمة ووزعت العيش. فتحي: "آه نسيت الطرشي يا صباح". قعد يفرك يده بقوة وأكمل: "حتزعل مني دلوقتي". أما صباح تهز رأسها وتبرم وجهها، تحاول أن تتكلم لكن لا تعليق، وجلسا يأكلان وعمر معهم، يأكل معهم، ينظر إليهم بحنان، ولكنه وكأنه لم يأكل شيئًا. لا أحد يحس به ولا يسمعه. صاح بوجههما عمر:

"أمي وأبي!" كان فتحي وصباح لا يتكلمان في الأكل، صامتين تمامًا، ربما مر عليهما زمن طويل من طول انتظارهما مع بعضهما، لكنهم لا يشعرون بأن معهم أحدًا، ولا يسمعون. صار الدمع ينهمر على وجهه: "ليه أمي وأبويا فينكم، تركتونا ليه، يا الله ما تردوش عليَّ ليه؟"

لم يكن ينظر إليه أحد. قامت صباح وذهبت من هذه الحجرة. عمر: "دي هي أمي حبيبة قلبي". يتابعها بدموعه لكنه يحاول أن يجعلها تراه ولكن بلا فائدة. كان عمر يبكي معها

بدموعه. كانت صـــباح تمشـــي رويدًا رويدًا، فتحي ينظر إليها بإشفاق:

"الحياة ملهاش طعم ولا لون إلا لونك يا صـباح". وبدت اللقيمات صـــعبة المضـــغ على فتحي. جلس فتحي يأكل ببطء شـديد، ينظر له عمر يحاول أن يقبل يده ورأسـه، لكن للأسـف لا يحس به، إنه لا يراه: "ليه يا يما ليه يابا؟"

فجأة دخلت سـيدة عجوز ضـخمة بملامح غليظة وأنف عريض وعيون واسـعة ليسـت جميلة أبدًا ومكحلة، تلبس جلابية سـوداء وعلى رأسـها طرحة سـوداء. تبدو ملامحها ذات شـر كبير، أنفهـا من كبره كـأنـه يتنفس أشـــيـاء كبيرة غير الهواء، عينـاهـا جاحظتان فيها كحل أســود غليظ يزيد القتامة الســوداء التي في وجهها. فتحت الباب بقوة شـــديدة، عمر ينظر إليها، يبدو على وجهها تجاعيد كثيرة طويلة فوق العادة، تلف رأسها بعصبة سوداء فوق طرحتها الســوداء، بعيونها الجاحظة وصــوتها العالي، تتفرس في وجه فتحي وتناديه:

"فتحي، أنت مش هتفطر معايا؟! تعال يا ابني كل معايا، مش كل حاجة معاها".

فتحي:

"يمه أنا ما كلتش من الصبح، نسيت نفسي، سامحيني أصل ليه يومين ما كلتش". العجوز تبصق على وجهه وتمضي وتقفل الباب بشدة، وقبل أن تغادر لمحت عمر، نظرت له طويلًا. نظر لها عمر بقرف، هزت رأسها وأغلقت الباب. وما هي إلا لحظات يتمدد فتحي جنب صباح. عمر يتمدد معهما، ولكنهم لا يحسون بشيء. يدق جرس الباب، فتحي يقوم بصعوبة شديدة كأنه لا يريد أن يقوم، تقوم صباح تضع إيشاربًا على رأسها وتذهب إلى الصالة ذات الجدار الأزرق المشقق. فتحي يفتح الباب، رأى رجلًا مربوعًا تتقدمه كرشه الكبير، ينظر لفتحي بسخرية:

"إزيك يا سي فتحي؟ وبعدين معاك يا راجل؟"

يطأطئ فتحي رأسه. فتحي:

"معلش، أصل الميتين قلو اليومين دول".

الراجل:

"وأنا مالي، ما يقلوا ولا يكتروا؟ أنا عاوز فلوسي يا فتحي، فين الإيجار؟"

فتحي:

"لا إله إلا الله".

فجأة تدخل العجوز زينات تسحب فتحي للداخل، ينظر لها الراجل بخوف:

"خلاص، خلاص، الحساب عندي المرة دي، أصل الحساب يوم الحساب".

تصفع زينات الباب بشدة، خاف عمر، تراجع، أمسك بجلابية أبيه. تقترب زينات من ولدها وتصيح:

"مش كل واحد تفتح له الباب".

طأطأ فتحي رأسه وذهب لحجرة نومه، تتبعه صباح تاركين عمر لوحده مع زينات. نظرت العجوز زينات كأنها رأته من قبل، حدقت فيه طويلًا مرة ثانية بنظرات لم تكن جميلة أبدًا، لكنها لم تقترب منه. شعر عمر بالخوف منها، وهي ذهبت لحجرتها وصفعت الباب. دخل عمر الحجرة بهدوء، كانت معتمة إلا من ضوء صغير يرتجف هنا وهناك من لمبة الجاز. كانت الستارة مغلقة كأنها تكتم سرًّا لا نهاية له. نظر عمر لأبويه طويلًا، أبوه يتمدد على السرير، وأمه تجلس فوق كنبة صغيرة تتحدث مع أبيه بصوت خافت كأنها خائفة أن يسمعها أحد:

"يا فتحي، وبعدها من أمك دي مش حتجبها لبر أبدًا".

فتحي بقرف:

"اصطبحي وقولي يا صبح".

صباح:

"خلينا نسيب البيت والرزق من الله".

فتحي:

"نسيب البيت؟! إنتي اتجننتي ولا إيه؟!"

صباح وهي تحثه بهمس:

"وماله، أنت عاجبك الحال دي؟ ولية شـر! ما يقدر عليها إلا ربنا؟"

فتحي:

"أمي دي يا صباح".

صباح وهي تتأمل إجابة منه:

"نشـــوف لنا حاجة غير البيت المنحوس ده يا فتحي، اشـتغل أي حاجة، فلاح، شـيال، أي حاجة يعني، اشـتغل أي شـــغلانة بالحلال، أنت مش لاقي إلا الميتين دول". فتحي وكأنه يعاتبها:

"ومالهم يا صباح، الميتين دول كافيين شرهم". صباح:

"يا أخي، ده أمك بتعمل حاجات استغفر الله".

فتحي يصرخ في وجهها:

"عاوزة تعملي مشكلة دلوقتي يا صباح، بعدين تعمل إيه؟ دي بتخلي الناس تحب بعضها".

صباح:

"يا راجل، تحب إيه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، دي الشيطان نفسه".

فتحي بقرف:

"وبعدين معاك يا صباح".

عمر ينظر إليهم ولكنه لا يسمع، وفقط مبسوط إنه جنبهم، يقبل يدهم تارة وفي حضن صباح تارة. صباح:

"ربنا ياخدها ونرتاح منها، أعوذ بالله، أستغفر الله العظيم، دي ولية نحس".

عمر يهز رأسه: "والله باين عليها أوي".

فتحي:

"بتقولي إيه يا صباح، مش سامع".

صباح:
"لا لا ما بقلش حاجة".

فتحي:
"اهدي بقى وخليكي في حالك".

فجأة يفتح الباب، تظهر زينات ذات التجاعيد الصعبة:

"بعدهاالك خلي عندك دم يا ولية، حلي عن دماغي، قولي يا صبح". نظرت إليها صباح بحزن شديد وطرقت رأسها، ظل عمر ينظر إلى هذه العجوز العنيدة كأنه يحاول أن يفترسها، وفجأة ظهرت أصوات من هنا وهناك، البيت تزلزل تحت قدمي عمر، والكل صامت وكأن لا شيء يحدث، يرتج السقف، يهتز السرير، يرجف عمر بشدة، تسقط الكتب من على الطاولة، وتسقط الطاولة. هناك من تحت السرير، تخرج قطط من هنا وهناك، سوداء تدور حولهم، عمر يصرخ ولكنها تقترب منه غير خائفة. يجري عمر يمسك بالمقشة ليضربها لكنها تختفي، وصباح وزوجها لا يتحركون كأنهم اعتادوا الوضع، لكن صباح كانت تقرأ بصوت عالٍ آية الكرسي، المعوذات، وتهز رأسها بحسرة. وما إن بدأت القراءة حتى خرجت زينات مسرعة من حجرة صباح، وما إن فرغت صباح من القراءة حتى عاد الوضع

كما هو عليه. ظل عمر يبكي: "هو في إيه؟" يتكئ على الجدار، يرتمي عند قدمي أمه، يحضـــنها بشـــدة، يهدأ المكان، وعمر مغمًى عليه، لا يستيقظ، حتى أشرقت شمس اليوم التالي. تشرق الشمس من جديد وتدخل إلى النافذة، قامت صباح تتثاءب: "يا فتاح يا عليم، أصبحنا وأصبح الملك لله". تتنهد صباح وهي تلم الكتب وترفع الطاولة وترتب المكان وتغلق النافذة وهي تتمتم بقرف: "ربنا ياخدك، يا زينات".

فجأة، عمر يحس براحة تسري في بدنه تحت رجلي أمه، وهي جالسة تذكر الله وتتلو القرآن، وقد بدا عليها التعب الشديد من ليلة صـــعبة، ويشـــخر فتحي بشـــدة، لم يقم أبدًا من الليل، وتنعس صـــباح على الكنبة مرهقة من نوم غير مريح، وتذهب في نوم عميق لغفوة مريحة في صـــباح مضـــطرب غريب لكنه يبقى صباحًا يُشعِر بالأمان.

يفتح عمر عينه بعد أن أخذ غفوته مع أمه على ضـــوء الشمس في الظهر، الكل يستيقظ، تتنهد صباح، توقظ زوجها:

"فتحي، قوم يا راجل، شـــوف حالك، قوم صـــلي، بقينا الظهر وجبنا العيش قبل ما أعمل الغداء، قبل ما تيجي فتحية". النهاردا جاية مع عيالها تتغدى معانا. فتحي:

"هي الساعة كم يا صباح؟"

"ما شـــفتش الشـــمس عاملة إزاي؟ بقينا الظهر يا راجل".

فتحي:

"حاضـــر يا ولية، ما أشـــوف أمي، يقفز من فوق الســـرير. عاوزة إيه؟"

صباح:

"أمك مين يا راجل؟ مش ماليين عينك ولا إيه؟"

فتحي:

"بقول لك أمي هي بركة البيت ده، لتكون عاوزة حاجة تاكلها قبل الغداء".

صباح:

"بسخرية: إيه إيه دي بركة دي؟ دي؟!" فتحي بغضب: "وبعدين معاك يا ولية".

صباح:

"يا فتحي، مش هي اللي خلصـــت على أبوك، بركة إيه بس؟" وتبتسم كأنها تؤذيه بالكلام مزحًا وجدًّا.

يقترب منها فتحي غاضبًا وقد احمر وجهه: "أنتي قصدك إيه؟ أنا فتحت لك قلبي مرة بالكلام ده، أنت مش عاوزة تجيبيها لبر اليومين دول ولا إيه؟"

صباح:

"خلاص يا أخي، مش هزعلك خلاص". عمر بدهشة: "إيه يما، خلصت على مين، أنت بتتكلمي بجد؟"

يفتح باب الحجرة، تدخل فتحية شبه مبتسمة، تسلم على أبيها وعلى أمها:

"أهلًا يا أمي، أهلًا".

سلم أطفالها على جدهم، يقتربون من صباح وهي تحتضنهم وتأخذ من تحت الوسادة حلوى توزعها عليهم. يقترب منهم عمر، يقبلونه، يضحكون له كثيرًا. يقترب من أمه:

"أنا عاوز يما حلاوة زيهم كده".

ويضحك الصغار، يفرح عمر بهم بشدة لأنهم رأوه، حسوا بيه: "أخيرًا حاجة تفرح، هما حاسين بيه. أحباب الله دول، ربنا يخليهم، دول حتة من قلبي أنا". صباح:

"هما مالهم عيالك النهاردة يا فتحية؟"

تنظر لهم فتحية:

"والله مانا عارفة يما، مالكو أنت وهو؟"

الأطفال لا يردون، وعمر ينظر إليهم ويضحك ويلعب معهم ويقفز معهم على السرير، يبتسمون، صاروا يلعبون معه ويلعبون. فتحية:

"بسم الله الرحمن الرحيم. مالكم يا عيال؟"

يخرج فتحي من الحجرة ويذهب إلى أمه، يصفع الباب خلفه. تقترب فتحية من أمها: "إزيك يما، عاملة إيه؟"

صباح:

"نحمده يا فتحية، إزيك أنت وراجلك عامل إيه؟"

فتحية:

"والله ما لاقي شغل طول النهار، من بعد الحادثة وهو بيدور، والحمد لله كل يوم بيدور ويدور، مفيش حد عاوزه. من يوم ما اتكسرت رجله، وهو يا حرام مش لاقي حد يقبله، وأصلًا حيشتغل إيه؟"

صباح بتأوه:

"خليه يوقف على دكانه، يوقف على حاجة، يحاسب، يعمل حاجة".

فتحية:

"يما يحاسب، ده ما يعرفش الألف من كوز الدرة، الحمد لله مستورة. باع القيراط اللي عنده لحد ما يدبرها ربنا. قوليلي يما" - تنظر إلى الباب - "إزاي جدتي؟ عاملة معاكي إيه؟" صباح:

"يا أختي، ربنا ياخدها، يا طول النهار نايمة، وتسمعنا الأصوات في الليل، وبتحضرهم وبتعمل أعمال وزار للي يسوا وللي ما يسواش، هو إحنا بنام، ربنا يكفينا شرها، هي ولية مش بتخاف من ربنا، إيه ده؟" فتحية:

"لا حول ولا قوة إلا بالله".

صباح:

"هي بتعمل حساب لحد، ربنا ياخدها ونخلص منها".

فتحية:

"معلش، يما، معلش، بكرة حتفرج، يما. أنت بالأسود ليه لحد دلوقتي، دي سنين، ياما عدت، امتى حيتغيري بقى؟" الأم تدمع عيناها وتبكي.

صباح:

"هو في فرح بعد عمر وحور، يا رب". فتحية:

"معليش، يمه، بكرة إن شـــاء الله تهدى الأمور وتنصـــلح الأحوال، بس أنتي اهدي وروقي، واشتكي لرب العالمين".

يتســـمر عمر يبكي عندما ســـمع اســـمه، يقترب من أمه، يمسح عينيها من الدموع، ويبكي في حضنها، لكن لا فتحية ولا أمها يرونه. عمر بقوة، ويهز أمه:

"أنا هنا يمه، أنا هنا يمه".

لكن لا أحد يسمع. فتحية:

"والله يمه أنا إحساسي بيقولي إنه عمر وحور عايشين".

تبتسم صباح:

"صـحيح يا فتحية، والله بتتكلمي جد، يعني أنتي حاسـة باللي أنا حاسة بيه، بس أبوك بيقولي: أنتي أتخبطتي في عقلك يا ولية".

فتحية:

"ربنا يفرجها وتشوفيهم قدامك".

صباح:

"يا ربي، فتحية، يا رب ما تدعيلهم، يا فتحية، دايمًا".

يفتح الباب، يأتي فتحي بالطعام:

"يلا يا ولاد تعالوا ناكلوا لقمة على ما تقصر".

تأخذ فتحية الطعام من أبيها، تفرش في الأرض، ويتجمع حولها الصغار وينضمون إلى عمر، ويشيرون له بالأكل. يبتسم عمر أخيرًا:

"فينك يا حور، تجي تاكل معانا، أخيرًا حد حس فيا".

ويجلس بجانبهم ولكن لا أحد يراه، وصار يأكل معهم بنهم حتى ضحكوا عليه وبدأت الدعابة معهم، يأخذ لقمتهم ويأخذون لقمته. عمر:

"اللّه! ما أحلى الجمعة يا با، يا رب تكونوا دايمًا مبسوطين، أنتم النور في حياتي، يا رب تكونوا بخير دايمًا، ويجي حور ويكملنا، ضحكتكم بالدنيا والله".

صباح تبتسم:

"فتحية، كلي وانبسطي، أصل ولادك النهاردة دول حاجة تانية خالص يا بنتي".

فتحية:

"بقولك إيه يابا، ماتجيوا تقعدوا معايا كام يوم".

فتحي يضحك:

"هو أنتي لاقية تأكلي حتى تأكلونا؟"

فتحية:

"لا يابا، اللقمة الواحدة تكفي مية، بس أنت انوي، مش راح تندم، تغير جو وتنبسط شوية أنت وأمي".

فتحي:

"بقول لك إيه، كلي يا فتحية، وســيبينا في حالنا يا بنتي. أنا بكرة ورايا دفن الصبح".

فتحية:

"ربي يتوب عليكم من الشــغلانة دي يابا، والله دي بتهد الحيل".

فتحي يهز رأسه:

"يا فتحية، دي فيها أجر دنيا ودين يا بنتي".

صــباح تتنهد: "طيب و—" وفجأة تفتح الباب زينات، تجري فتحية:

"إزيك يا جدتي".

تنظر إليها بغِل:

"انتو ما عندوكوش ناس نايمة، جتكم الغم".

فجأة يدق الباب بشــدة، يقوم فتحي ليفتح الباب. تدخل امرأة في مقتبل العمر، يظهر عليها الإعياء، تصيح وتولول:

"افتح يا سي فتحي!"

فتحي:

"مالك، في إيه يا سيدة؟"

سيدة:

"الحقني، أنا عايزة الست بسرعة".

فتحي:

"نايمة، تعالي بالليل".

سيدة:

"أرجوك، الموضوع ما يستحملش، خليني أدخل لها".

فتحي:

"لازم أعطيها خبر".

سيدة:

"يا ست صباح، إلحقيني!"

تخرج صباح لها، تتنهد:

"يا سيدة، يا بنتي، ارتاحي شوية واشربي كوباية مية".

تخرج زينات غاضبة:

"بجد أنت قليلة الربابة؟ أنت ما تعرفيش الأصـــول؟ يا سيدة، أنا ما قلت لك ما تجييش بالنهار أبدًا تصحيني من نومي، يا بنت الكلب".

سيدة:

"إلحقيني يا ســـتي، والله ما أقصـــد، والله ما جابني إلا الشـديد الأوي، ياسـتي، راجلي كسـر البيت على دماغي وطفش وتركني أنا وعيالي أسـبوع وما حدش عارف عنه حاجة، بعدما هدم الدنيا وطفش وما حدش عارف له طريق".

جرة زينات باستهتار: اتون

"وما يطفش وأنا مالي!"

سيدة، وهي تبكي:

"أبوس إيدك، إديني حل".

زينات:

"بقول لك إيه، تجيني المساء، ما عنديش كلام تاني".

تغلق البـاب بشـــدة في وجههـا، تخرج منهـارة وتتمتم بالكلام:

"لا إله إلا الله، يا رب افرجها من عندك".

تقبل صباح:

"يا بنتي، يا بنتي الدنيا عاوزة لها صبر، ولازم نصبر، ورب العالمين هو وحده القادر على حل مشكلتك".

سيدة:

"إيه يا ستي صباح، ده أنا ولية ومكسورة، ما عنديش حد غيره، والراجل ده ما يخرج الشيشة من بقه خالص، أبدًا، عايش على الدخان ودلوقتي في الحشيش، وهاتك يا فلوس كل ليلة، وفجأة مش عارفة ماله صار مجنون أوي، وطول النهار هاتك يا ضَرب في العيال، وأخد كل فلوسي، وهج من البيت".

صباح:

"هو طول عمره كان واخد فلوسك؟"

سيدة، وهي تبكي:

"بس كان مستحملنا ومداري علينا، دلوقتي كسر البيت كله، فجأة صار يضرب كل اللي قدامه ومشي، مش عارفة أعمل إيه، قليلة الحيلة أنا، ياست صباح، يادوبك على لقمة للعيال".

صباح:

"معليش، يا أختي، بالراحة، وكل حاجة حتتحل، اصبري وتوكلي على ربنا، هو اللي ليكي، إن شاء الله، ربنا يكرمك بإذن الله، وأنتِ بقى اتلمي وبطلي المشي البطّال".

سيدة:

"هي خدمة البيوت بتجيب اللقمة، والله ياست صباح، أنا لو الراجل ده اشتغل ماكنتش مشيت أبدًا في السكة إياها".

صباح تغمز لها:

"أنتِ يا فتحية، اللي ما تعرفيش تقولي لحد أبدًا لأ".

فتحية تحضن صباح وتبكي كثيرًا:

"ادعيلي".

يخرج فتحي من حجرة أمه:

"مع السلامة، دي الوقت يا سيدة".

سيدة:

"فتكم بعافية".

صباح، وهي تضرب كفًّا بكف:

"أمك وعمايلها يا فتحي، كله بسببها".

فتحي:

"حتشوفي، أمي حتظبطها، حتشوفي".

صباح:

"تزبط يا ابني إيه، أنت وأمك تخربوا بيتها، ما تشوفي الولية دي عملت فيها إيه".

عمر يهز رأسه:

"إيه الجنان ده؟"

يدخل الليل، كانت صباح تجلس على الأريكة وحدها، تغزل طاقية من الصوف لفتحي. كانت تغزل وعينها تتكلم بدلًا عنها، وتفكيرها جلّه في عمر وحور، وكيف التخلص من زينات التي قضت على سعادتها تمامًا. توقفت عن الغزل، أحست بالضيق من فكرها الشديد.

"يا رب، توب عليَّ من العيشة دي". انهمرت دموعها على وجهها، ولكن ما زالت تخيط. ظل عمر يمسح عليها ويقبلها. هزت رأسها وكأنها تذكرت شيئًا ما. ظلت تبكي وتبكي، وهي تنظر لجروح عتيقة في يدها. جلست على الأريكة، تنفست بعمق، رجعت برأسها للوراء. كانت الصور تجري في رأسها وتنعكس على عينها. وهو يمسكها من يدها، يحاول تهديدها رجل ضخم. تذكرت رائحة قميصه المقززة، وتذكرت كيف دفعته بقوة ليضربها ضربًا شديدًا. ظلت تصرخ حتى انهارت. حاول أن يمسك بها ثانية، كانت تركله بكل ما أوتيت من قوة.

تذكرت وبكت وبكت، صمتت. تذكرت مرة أخرى صورًا سوداء عن ماضٍ مؤلم قاسٍ. انهارت يدها وهو يلويها بشدة،

يحاول كسرها والسيطرة عليها. بصقت في وجهه، ضربها على وجهها ورماها أرضًا. ظلت صباح تتذكر وتمشي وسط حجرتها. حتى دخلت زوجته، بصقت هي الأخرى في وجهه: "هي حصلت مع الشغالة كمان يا ابن الكلب". خرج يجري من البيت. فركت صباح يدها وهي تتذكر نظرة المرأة التي اجتمعت فيها كل أنواع الشرور. اقتربت منها المرأة: "اسمعي، لمي عزالك، وعشان انتي مش وش الحاجات دي، اهربي، مش عاوزة أشم ريحتك في البلد دي، وإلا قسمًا لكون قاتلاكي بيدي". كانت صباح تتذكر وتهز رأسها بقوة، وظل نفسها يصعد معها بقوة. كانت تهرول، لا تعرف أين تذهب. ظلت صباح تروح وتجيء في حجرتها، تتذكر قسوة ما حدث. كانت تجري في الليل كالليل الذي في النافذة الآن، حتى وصلت المقابر، هاربة من الشرير الذي كانت تشتغل خادمة عنده وزوجته البجحة التي لم ترحمها، بل قست عليها، طردتها وهددتها، ناسية ظروفها القاسية وهي تحت رحمة زوجة أبيها التي لم ترحمها من ضربها وعملها في الخدمة، بل استولت على أجرها بحجة علاج أبيها العجوز وإيجار البيت والطعام. وفجأة ابتسمت، تذكرت وجه فتحي وهو خارج من المقبرة مفجوعًا منها: "أنت مين؟ أنت جنية

ولا إنسية؟" ابتسمت صباح وهدأت نفسها، وهي في الأريكة تتذكر وجهه وخوفه ولمعان عينيه في تلك اللحظة. كانت خجلة منه، تذكرت أنها لم تستطع أن تكلمه، وتذكرت حنان يده وهو يجلسها على الأرض ويسألها: "أنت مين اللي جابك المدافن في دي الساعة دي؟" لم ترد عليه. سقاها ماءً. كل هذا وعمر يتعجب من حال أمه وهي تبكي تبتسم وتضحك: "الحمد لله يا ماما، اضحكي، إيوة كده". كانت صباح تتذكر حتى أحست بقليل من السعادة، وأمسكت الكروشيه تحاول أن تكمل طاقية فتحي، ولكنها تذكرت وجه زوجة أبيها وهي تقترب منها وتشد شعرها في المطبخ حين احترق الأكل من يد صباح المسكينة. كانت زوجة قاسية، عقيمًا، تكره صباح لأنها لم تستطع الإنجاب. كانت غليظة اليد، تربط منديلًا أسود وجلابية حمراء، وبغلاظة شديدة تشد شعر صباح: "هي حصلت تحرقي لقمتنا يا فاجرة!" كان وجه المرأة يختلط بوجه زينات القاتم حتى اتحد الوجهان في عين صباح، التي كانت الدموع تتحدث عن ذكريات بعيدة غير جميلة. أبدًا لم تستطع صباح قمع الذكريات.

وإذا بالباب يدق. يذهب فتحي لفتح الباب ويلقى سـيدة في وجهها غم ودموع منطفئة. فتحي:

"تفضلي يا سيدة".

سيدة:

"هي الهانم صحيت؟"

فتحي:

"آه، تفضلي. استني شوية، أديها خبر".

حاضر يدخل فتحي:

"تعالي يا سيدة". تدخل سيدة على زينات، تقبل قدميها.

زينات:

"إيه يا ولية، قلت لك رشـي عند العتبة بس، عند العتبة يا ولية يا خربانة، تدلقيها على السرير ليه؟"

سيدة:

"تطأطئ رأسـها. بصـراحة أنا كنت عايزة منه يحبني على طول زي ما أنا أحبه، قلت أدلقه كله على السـرير، أخلص بقى، يمكن ربنا يهديه ويشتغل، يرحمني من خدمة البيوت".

زينات:

"أهي اندلقت على دماغك يا أختي، كســـر دماغك. عمومًا اســـتحملي". تتلفت إلى الدولاب الحديدي تأتي بقارورة كبيرة.

"اسـمعي، رشـيها عند العتبة بتاعة المكان اللي هو موجود فيه دلوقتي، ورشـــي عند باب بيتك كمان، وقولي لي حيحبك قد إيه". تقبل سيدة يدها وقدميها:

"يحبني تـاني؟ يـا ليـت ويرجع ينور بيتـه. حقـه ده أكون مديونة لك بعمري".

زينات:

"يا ولية، بطلي المشـي بتاعك، على الأقل دلوقت يمكن ينهدي ويسامحك".

سيدة:

"والله الشـــغل في البيوت ما يوكلش عيش أبدًا، نعمل إيه؟ ده حتى الحشيش نساه الحريم خالص".

زينات:

"بقولك اتعدلي بقى".

سيدة:

"أمرك".

تخرج سيدة مسرعة، تلقى صباح تطأطئ رأسها وتمسكها.

صباح:

"ربنا يفك كربك بإذن الله".

تدمع عين سيدة الشابة:

"معليش، معليش يا أختي، حتى لو اتطلقتِ منه، المهم ما تغضبيش ربنا".

سيدة تهز رأسها:

"تباتي بالعافية يا ست صباح".

يدخل فتحي يسلم على يد أمه ورجليها:

"ربنا يخليك لينا، يمه، دحنا مالنا غنى عنك أبدًا".

زينات:

"لِمّ مراتك مالهاش دعوة أبدًا بحاجة. فاهم ولا لأ؟ مالهاش تدخل بوزها بوز الإخص دي".

فتحي:

"يما دي بتحبك يما".

زينات:

"حبها برص".

فتحي:

"حاضر يما، اللي تشوفيه حبها برص، يعني حبها برص".

زينات:

"إيوة كده".

تخرج زينات من دولابها قطعة مربوطة من القماش:

"خد يا فتحي مع الدفنة".

فتحي:

"أمرك يما".

يخرج فتحي سـريعًا من أوضـتها ويدخل أوضـته يجري، يضعها فوق الرف العلوي من دولابه.

صباح:

"لا حول ولا قوة إلا بالله، هو إيه ده؟"

فتحي:

"مالكيش دعوة يا صباح، خليكِ في حالك".

صباح:

"بيت شياطين يا أخويا، ده إبليس ذات نفسه بيروح وقت الموت. بقي أنتم بني آدمين، اتقوا ربنا، أنت راضي على البلاوي اللي بتعملها؟"

فتحي:

"يا ستي، دي بتملا القلوب حب وبتفتح البيوت".

صباح:

"دي تفتح الشر يا راجل. اتقِ الله في المسكينة سيدة، شوف عاملة إزاي"، وتكمل صباح:

"عملها أسود فيها، وغيرهم وغيرهم وغيرهم، اتفو، راجل ناقص".

فتحي يقترب منها ناوي يضربها: "ما تلمي نفسك يا ولية الليلة، ولا أرنك حتة علقة".

عمر يقف في وجهه: "مش حتقدر تضربها".

يخرج فتحي.

يدق الباب من جديد، يفتح فتحي، يدخل راجل يلبس جلابية فاخرة بشنبات فاخرة، يبرمها وهو ينظر لفتحي:

"إزيك يا راجل، مسا الفل".

فتحي: "أهلًا يا معلم. اتفضل".

المعلم: "يزيد فضلك، هي الست هانم صاحية".

فتحي: "أكيد يا معلم".

يدخل فتحي غرفة أمه: "يما، المعلم!" تخرج زينات سريعًا: "أهلًا يا معلم".

المعلم: "أهلًا بيك يا ست الكل، إزاي الحال؟"

زينات: "نحمده".

المعلم: "يا ست هانم، هو في موضوع كنا عاوزين منك خدمة فيه".

زينات: "أنا تحت أمر الأُبهة دي".

المعلم: "خش انت يا فتحي لمراتك".

يخرج فتحي، يقترب المعلم من زينات، ويخرج من جيبه مالًا كثيرًا: "هنا وعافية يا ست الكل".

تدس زينات المال في صدرها وتبتسم: "أؤمرني يا معلم".

المعلم: "الفتوة مرسي مش جايبها لبر".

زينات: "عامل إيه ده الآخر؟"

المعلم: "عمال يضـــرب ده ويفك راس ده ويلم من كل حته، ويا ويل حد يتكلم".

زينات: "مايلم يا أخويا، واحنا دخلنا إيه؟"

المعلم: "الناس اشتكت منه ومش راضين يبلغوا، خايفين أوي منه، راجل مفتري".

تنظر له زينات وتغمز: "اشتكت لك يا راجل".

يبتسم المعلم: "أه، كلك".

تنظر يا معلمها، هي تضحك من قلبها.

زينات: "طيب يا أخويا، ابقي أعزمه على شاي".

تذهب لدولابها القديم وتعطيه قطاره: "يبقى دلعه، وحط له كم نقطة في الشاي ثلاثة أيام، وحتدعيلي".

يبتســم المعلم: "طول عمري داعيلك والله، بس لا يطب ساكت".

زينات: "اوعى يطب ساكت".

تضحك المعلمة: "تلات أيام بس، ماتزودش".

دمك خفيف أوي الليلة دي يا معلم.

يضحك المعلم: "ده انت اللي عسل وكلك مفهومية...".

زينات: "طيب، غور وحتدعيلي".

المعلم: "فتك بعافية يا معلمة أنتي".

يبتسم ويغمز لها، ويخرج، يقفل الباب.

عمر يدخل حجرتها، تنظر له زينات بحدة ولا تتكلم، كأنها تتحسسه.

ينظر لها عمر. تنظر له بحدة شديدة لدرجة أرعبته.

يجري عند غرفة أمه ويقفل الباب.

وما إن قفل الباب حتى سقطت الثريا المتهالكة وتكسرت.

تقوم صباح: "فزعة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم".

يخرج خلفها فتحي: "في إيه؟"

يسمع صوت دق عنيف من السقف، يحضن صباح.

فتحي: "صباح، اهدي، اهدي. انت ما كنت متعودة خلاص، جرالك إيه المرة دي؟"

ترتعب صباح: "كله منك انت وأمك، أنا اللي ساكتة وصابرة، أنا جبته لنفسي، أنا الليلة دي قلبي مقبوض أوي، وحاسة إن في الدولاب وحوش عاوزة تخلص علينا، بتعملوا ليه كدة يا فتحي؟"

فتحي يحاول أن يهدئها: "معلشي، معلشي، اهدي".

صباح: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم".

تقرأ صباح آية الكرسي: "الله لا إله إلا هو الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم".

عمر يشـــدها من رجلها، تفزع: "أعوذ بالله من الشـــيطان الرجيم".

كان عمر فزعًا هو الآخر.

تكمل: "الله لا إله إلا هو الحي..."

تبكي تكمل تبكي حتى هدأ الدق وكأن غمامة ســـوداء بدأت تهدأ.

وفي قدميها عمر يزحف باكيًا، يغلق الباب.

فتحي متعجبًا: "إيش معنا المرة دي يا صباح؟ منتي طول عمرك متعودة على زلازل البيت ده".

صباح، وهي تنظر له خائفة: "حاسة في حاجة حتحصل، مش عارفة، قلبي حيقف".

يتوقف المشهد، وتمضي أيام وأيام كأن شيئًا لم يحدث.

البيت هادئ، زينات لم تغادر حجرتها، حجرتها قاتمة كئيبة، وصباح لم تغادر هي الأخرى إلا لإحضار الطعام وتنظيف الصالة.

فتحي يخرج أحيانًا، يرجع ســريعًا، إلى أن دق الباب مرة أخرى.

يخرج فتحي لفتح الباب، يظهر رجل محمر الوجه عليه كآبة شديدة: "هي الست هانم صاحيه؟"

فتحي: "أهلًا حنفي، إزيك؟ ادخل".

يدخله للصالة، يقعد حنفي ينظر له.

فتحي: "ازاي ابنك؟"

يطأطئ رأسه: "نحمده".

ينظر حنفي له كأنه يستعجله.

فتحي: "حاضر".

يدخل حجرة أمه.

تخرج زينات بدون غطاء رأس، يقوم حنفي يجري يقبل يدها: "الحقيني يا ست هانم، ولدي تعبان أوي".

زينات: "انت شربته الدوا يا حنين؟"

حنفي: "ايوه، أيوه يا ست هانم، وكان زي الحصان".

زينات: "بس إيه، في إيه؟"

حنفي: "رجع اتدهور تاني ونزلت صــحته، دا مش عارف يمشي أبدًا".

زينات: "طيب يا حنفي، يبقى جيبهولي بكرة في الليل أقرأ عليه".

يقبل يدها حنفي: "متشكر أوي، بنتعبك معانا".

يضع مبلغًا من المال في يدها ويخرج: "تعال يا فتحي".

تدخله حجرة نومها، تعطيه حاجة من تحت الوسادة.

ينظر لها فتحي: "حاضر يا ماما".

زينات: "بكرة دفنته مع دفنة الحجة ثريا، وابقى ادفن معاه اللي قبله".

ينظر لها فتحي خجلًا: "معليش يا ماما، أصلي بقوم الضهر".

يخرج من غرفتها سريعًا، ويدخل غرفته، يضعه في الدولاب، يقفل الدولاب.

ينظر لصباح، يقعد جنبها: "ازيك يا روحي".

صباح: "يارب تاخد روحي".

وهي ترى الدولاب المغلق: "تاني، انت مش حتوب بقي، والله ماني قاعدة لك".

تذهب إلى دولابها. يمسكها فتحي: "استهدي بالله، انتي تروحي فين بس؟"

يكمل فتحي: "انت ست الكل، انت اللي في القلب".

يبتسم عمر: "الله الله يابا".

صباح: "هوانا عشان وحدانية، تعملوا فيّ اللي عاوزينه".

فتحي: "وتسيبي فتحي لمين؟"

صباح تهدأ قليلًا: "انت السبب، تعمل لها كل اللي في نفسها".

فتحي بجد: "اصبري بس، اعمل اللي في دماغي، واقتلها بيدي".

فجأة، يحصل غضب في الأوضة.

يفتح باب الدولاب ويغلق، يفتح ويغلق.

تفزع صباح، وعمر يرتمي في حضنها.

يقوم فتحي فزعًا، يغلق الباب بالقفل.

تقرأ صباح آية الكرسي: "فتحي انتبه، خد بالك، شكلهم سمعونا".

وتبكي. كانت صباح منهارة جدًّا، كانت تقرأ وتبكي: "إيه الهم ده يا ربي؟"

فتحي: "معلشي، سامحيني، انتي اللي تسيبني نايم ومش بشوف ميت. صحيني الجنازة الجاية الصبح، وأنا

أخلصك، انتي اللي تتركيني الضهر. حصرفهم بقى ازاي؟ اهي جات على دماغك".

صباح: "ده ذنب الميتين، ربنا رحمهم من عمايلكم السوداء، وانت قلت إيه، تقتلها، أنا سمعت كده، صح يا فتحي؟"

يبكي عمر، وتبكي صباح، ويصمت فتحي حزينًا: "حقولك على كل حاجة".

في مشهد آخر، حور يظهر من جديد، يتثاءب، يحاول فتح عينيه، يفتحهم بشدة، حاول أن ينهض، لم يستطع.

بدأ يهمس: "عمر، عمر". لا أحد يرد.

حاول أن ينهض، لم يستطع.

أحس وكأن ترابًا من تحته ساخن. تساءل: "أين أنا، وكأني لست بخير؟"

سمع همسًا ضعيفًا كأن أحدًا يتكلم.

بدأ الهمس يعلو تدريجيًّا: "آتٍ يا ملك الأبدية، يا سيد الخلود، ارحم عبدك أخناتون".

كان الصوت آتيًا من أعماق المقبرة.

حور: "أين أنا، أخناتون؟ مين؟"

ينظر في المكان، يقوم فزعًا.

كان المكان مكتظًّا حول جثمان ملفوف أبيض في صورة كبيرة جدًّا تملأ المقبرة، وحوله أناس من الفراعنة: "ما هذا؟ أين أنا؟"

كان المكان يتحدث عن نفسه.

حور: "أنا في حلم ولا علم؟"

يلمس نفسه: "أنا فين؟"

الصوت مرة أخرى:

"آتون، آتون، يا رب أخناتون العظيم، ارحم عبدك أخناتون".

حور: "يا ربي ارحمني، أنا أنا حور".

"يا رب، يا رب، أنا إيه اللي جبني هنا؟ أنا وسط المقبرة ليه؟ وايه الصورة المتحركة دي؟ ومين الناس دول؟ الله، أنا مش حور، مش فيه ربنا، مش فيه سيدنا محمد، إزاي المكان ده موحش بشدة؟"

كان المكان يرتدي هيبة الزمن القديم. يتوسط المكان صور كبيرة جدارية مرسومة بدقة شديدة. الصورة بدأت تتحرك هنا

وهناك. كل ما فيها يبكي وينوح، وكل خلية في جسـد حور تعيش مع الصورة لحظة بلحظة.

موكب جنائزي ضـــخم، مومياء أخناتون محمولة تُجرّها ثيران كبيرة. يجرّ الثيران رجال ضـــخام يبدو عليهم القوة مع الفقر. ملابســـهم أخف كثيرًا من الباقين. تمشـــي على جدار المقبرة، الثيران يجرّهم رجال ضخام. كان حور خائفًا منهم، يسمع همسًا يبدأ ككل مرة ضعيفًا ثم يقوى:

"يا حبيب قلبي يا أخناتون".

حور: "ليه حبيبي؟ مين أنتو؟ وأنا مين؟"

"يا أختي، هو أنا ليه معاكم؟" كانت المرأة تبكي، حور: "أنتِ يا ولية مش شايفاني؟"

كانت المرأة نفرتيتي، بوجهها الناعم الجميل، المكحل العين، اللامع الشـعر، وكأن الزمن توقف عند وجهها. تجلس عند رأس أخناتون، تبكي بشدة. جلس بجانبها حور، مجذوبًا لجمالها الكبير:

"اللّه، نفرتيتي، أيوة، أنـتِ نفرتيتي، أنـتِ حبيبتي، أنـتِ ضي عيني، كل الحلاوة دي وقاعدة تبكي ليه؟"

جلست نفرتيتي تبكي وتبكي، فوق رأسها رسم للشمس ينتهي بكفوف صغيرة:

"أخناتون، خذني من هذا العذاب".

بدأت نساء يَنُحْنَ معها ويبكين، يلطمن وجوههن بشدة ويجررن شعورهن:

"فداك نحن يا أخناتون العظيم".

حور: "أنتم عاوزين جنازة عشان تلطموا فيها، بس أنت وهي في المكان المقابل للنائحات، كانت هناك موائد تحتوي على فواكه وأزهار. يقف عليها اثنان من الكهنة، أحدهم يمسك بقارورة التطهير والآخر يمسك بسهم ليؤدي شعيرة فتح الفم".

يعلو صوتهم رويدًا رويدًا:

"يا من جعلت الأرواح كاملة، اجعل روح أخناتون النقية منتصرة معك، يا من تعطي الأرواح الخبز والحياة في الصباح والمساء. فلتعطِ أخناتون الخبز في الصباح والمساء، ومهد له السبل حتى لا ينتبذ ولا يرتد، واجعله منتظرًا لك معك على

الدوام. إني أنا الكاهن المخلص، قد قمت بما يجب أن يقام به من طقوس".

كان الكاهن يدعو ويجيب عليه المصلون.

نفرتيتي: "تقوم وتصـــيح، أيها الرب آتون المقدس، الذي أتى منك إلى الوجود كل أشكال الحياة. أنت من ثبت الكلمة في الأرض، غمرتها بالنعم والصـمت، أيها الواحد الوحيد الذي عاش قبل البدء، قبل أن تصـــنع الأرض والجبال. يا صـــانع الأشـــياء الكائنة، لتجعل صـورة أخناتون مطهرة، تسـطع سـطوع الشـمس الجميلة، ولتجعل شمسك الكبيرة فوق جسده يومًا بعد يوم".

تنتحب نفرتيتي وتكمل:

"يا رب الأبدية، يا خالق لا نهاية، كلماتك لا يمكن حصرها، وضياؤك لا يمكن تصويره، ارحم عبدك أخناتون".

يسـود صـمت، يرتفع الصـوت قادمًا من الجزء الأيسـر من الصـورة، حيث كان رجلان ينتحبان لبعضـهما. أحدهما يمسـك المحبرة والأقلام، والآخر في يـده برديـات كثيرة، وكـان ينتحـب ويبكي.

أحدهما: "سنرجع الآن للكهنة الظالمين، لن يكون هناك في الأرض سلام وتوحيد بعد الآن".

حامل البردية: "التوحيد إلى عمله، أخناتون مش حيروح هباء. مش حيروح، ده حارب طول عمره عليه، والأقلام والمحبرة تشهد على كدا".

"متخفشـــي، ده كان حاجة كبيرة قوي. ده ملك بحق وحقيقي".

يظهر صوت من الرجال الفقراء الذين يجرّون الثيران، قادمًا من الأعماق. كان لباسهم بسيطًا، خفيفًا من الكتان. يلبسون أزرًا من نسيج كتان رقيق. حور ينظر إليهم: "هم دول بتوعنا".

الأول: "جنازة رائعة".

الثاني: "ملك رائع".

الأول: "أخناتون، ربنا نجاه من الكهنة الظالمين، ملك عادل، بس حنعمل إيه؟ دا كان الأمن والأمان. ده أعطانا الأمن والعزة، وريح حريمنا من الخدمة، مش حريمنا بس، حتى ولادنا الصـــغار ما يناموش إلا وهما شـــبعانين. دا كان معزنا قوي، مش عارفين حنعمل إيه من بعده".

حور: "ربنا يلطف. ولا أنا عارف".

تأتي من أسفل الصورة نائحة صغيرة تبكي وتتكلم.

الأولى: "مسكينة نفرتيتي، لقد فطر قلبها على أخناتون".

الثانية: "تركته قبل أن يموت. مسكينة، أكيد ندمانة".

الأولى: "أنا زعلانة على حالها خالص، ومنها وعليها. والله ربنا ينتقم من اللي وقع بينهم".

الأولى: "تعرفي يا أختي، الرجالة والله مالهم أمان".

الثانية: "لا، أخناتون ملك الأمن كله. غلط إيه ده كله، أمان وقوة، ومُوحّد. ومنين تقولي لمين؟ غلط حق الرجالة. دولا هما اللي غلط".

"أنتِ عارفة جوزي المقرف ده بيعمل إيه؟ ده بيشتغل كتير، كتير أوي، وشوية ينام ويصحى على الشغل تاني، ولا كأنه فيه مرة معاه".

تضحك الثانية بصوت خفيف: "والله برضه يا أختي، برضه هو شغال ليكي أنتِ وعيالك. أومال أنا أعمل إيه؟ ده أنا اللي بشتغل وأخبز نائحة وأعجن، وأنا أجيب للعيال، وما فيش فايدة منه".

"قال: 'دانا تعبان ومش وش شقا. أصل وحيد أمه وعينه طويلة على الرايحة والجاية.'"

وتلتفت لحور: "الله، هو أنت مين؟ وأنت إزاي دخلت؟ وايه اللي لابسه ده؟ مش لبسنا أبدًا، شكله غريب".

حور: "حور، عرفوني إزاي؟ مش أنا ملطوع هنا من الأول؟ إزاي شافوني؟"

النائحة الأولى: "أنت، أنت".

حور: "أنتِ بتناديني".

النائحة: "أيوة، أنت".

جلسوا بجانبه: "وأنت مين؟ أنت شكلك غريب كده علينا، وإلا لا. ده أنت دخلت هنا إزاي؟ وليه أنت شكلك كده؟ أنت ملك ولا عبد؟ أنت مين؟"

حور: "مالكم بيا أنتو الاتنين؟ مالكم؟ خرجوني من هنا، أنا انكتمت".

النائحة: "الله، أنت ما تعرفش الملك أخناتون العظيم؟"

حور: "يولية، ده مات له أربعة آلاف سنة. أنا بس مش عارف، أنا جيت هنا إزاي؟"

النائحة: "دول، والله لو شافوك الكهنة، لا يرنوك حتة علقة وينزلوا فيك ضرب. اخرج، أحسنلك، أنت إنس ولا جن، وشكلك أنت مش جايب خير. اه والله، يمكن من السماء ولا جاي من سابع أرض".

تلتفت نفرتيتي بعينيها تلحظ: "اللّه، أنت مين؟ تتكلم بتقول إيه؟ أنت مين؟"

ارتجف حور عندما رأى نفرتيتي، وصار قلبه ينبض بشدة: "ده أنا، أنا، أنا، أنا مش عارف مين اللي جابني".

نفرتيتي: "إزاي تدخل أكبر جنازة في الدنيا، جنازة أخناتون العظيم، ومش عارف تتكلم؟ ولا أنت لابس زينا؟ وانت مين؟ هو مين اللي دخلك؟ قول، ماتتكلم".

حور:

"والله والله والله مش عارف".

النائحات:

"حتى إحنا ياملكة مش عارفين مين اللي دخله".

نفرتيتي تنظر له بغضب: "وانت بتتكلم زينا، إزاي؟"

حور:

"والله مش عارف، والله أنا، أنا مش عارف".

نفرتيتي:

"جتك ستين داهية! أنت بتكرر الحروف ليه؟ وده اللبس اللي انت لابسه إيه؟ السروال الطويل ده والقميص الملون؟"

حور:

"ده سعيد اللي جابه".

نفرتيتي:

"سعيد مين؟ إيه ده؟ سعيد؟ وهو ليه اسمه كده؟ هو أنت، أنت دخلت أصلًا هنا إزاي؟"

حور:

"واللّه مش عارف. أنت تعرفي؟ افتحي لي وأنا حخرج صاروخ".

نفرتيتي:

"صاروخ مين؟ ده اسمك".

حور:

"لأ، أقولها دي إيه؟ ده أخويا، أبويا، أي حاجة بالله بالله، افتحي لي الباب أرجوك، أنا حور، اسمي حور".

نفرتيتي:

"وأنا الملكة نفرتيتي، امرأة الملك العظيم أخناتون".

حور:

"عاشت الأسامي! واللّه، أنا عاوز أمشي، أنا متجنن".

نفرتيتي:

"امشي!"

حور:

"الباب مقفول".

حور ينظر لها: "أنت ملكة عظيمة وجميلة أوي! تخيلي، إحنا قرينا كتير عنكم وعنك أنت بالذات. ده أنا طول عمري أنا وعمر بنبني تمثالك الجميل المكسور".

نفرتيتي:

"ليه مكســـور؟ وتبني في إيه من أصـــله؟ هو أنت مين؟ تعرفني؟ وشكلك مين؟ أنت جني ولا إنسان؟"

حور:

"رجعنا تاني من الأول. أولًا، أنا ماليش شـــغلة في الدنيا كلها إلا أنت، وكان نفســـي نتقابل أنا وانت في الآخرة، مش في الدنيا. فاهمة؟ لأنك ميتة، أنت واللي معاك من ســـنين طويلة. ثانيًا، أنا إنسان مصري زيكم، أمسكيني". يمد يده.

نفرتيتي:

"كيف أمسكك؟ أنا امرأة أخناتون، أنا ملكة".

حور:

"طيب، ملكة عليهم مش عليَّ يا أختي".

نفرتيتي:

"أنت بتتكلم حاجة تانية مش لغتنا. بس الغريب إني بفهمك، أنت مجنون".

حور:

"من زمان، من زمان بعيد خالص. بصي، وأنا أقول إني فطرة، يفهمني كل اللي يقابلني. أنا استويت أوي، أنا عاوز أخرج، أرجوكم، خرجوني من هنا".

النائحة:

"نعم يا أخويا، تخرج إزاي؟ هو دخول الحمام زي خروجه؟ احترنا معاك أوي".

حور:

"وأنت مالك أنت؟ أنت مالك؟ هو أنا نقصك يا متخلفة أنت! أنا أخرج غصبًا عنك".

النائحة:

"غصبًا عن مين يا أخويا؟ وأنت مالك شايف نفسك كده ليه؟ ممكن تسكت بقى، أنت في جنازة روح أخناتون العظيمة. بس أنت عرفت لغتنا إزاي؟"

حور:

"الظاهر أنك ماتســـمعيش، مش قلت إن أنا الفطرة؟ يا أختي، واللّه كلنا مش عارفين لغة بعض، المهم إننا فاهمين بعض، لأني فطرة، كأننا كلنا بقينا أرواح. وأنا معاكم، ومش عارف أنا ربنا حطني معاكم إزاي".

نفرتيتي:

"اسكت! هو أنت روح ولا جسد؟ عمومًا، ومش شغلك، روح ولا جسد، المهم ابكي على روح أخناتون العظيم".

حور:

"هو أنا عاوز أعرف أنا دخلت معكم إزاي".

نفرتيتي:

"واحنا عاوزين نعرف أنت دخلت معانا إزاي".

حور:

"بقول لك إيه، أنا مش عارف إزاي، لكن أنا عاوز منك طلب واحد: خرجيني، أرجوك".

نفرتيتي:

"حتخرج لما تكمل الجنازة وتخرج، وإن شـــاء الله ما نشــوفك بعد كده. أنت شــيطان، خرجتنا من جو الجنازة، ومش بتبكي على أروع ملك".

حور:

"ما تشوفني، أنا مش زيكم، يا ترى أنا عايش، مش زيكم أنتو ميتين. أنـت روح منـك لهـا، لكن أنـا جســـد وروح. مـا تمسكوني عشان تتأكدوا إنّي لحم ودم".

نفرتيتي:

"نمســـك مين؟ وأنـا يهمني إيه أنك لحم ولا دم؟ مش مهم، المهم إنك بتتكلم معـانـا، تفهمنـا وفـاهمينـك. احنـا مش بنموت، احنا نكون أرواح، بس احنا الآن موجودين مع بعض".

حور:

"لا، أنا، أنا لسا مامتش. بقول لك يا ولية، أنا عاوز أخرج، عاوز أشوف عمر".

نفرتيتي:

"مين ولية؟ ومين عمر؟ دا بتاع إيه؟"

حور:

"ده أخويا التوأم، يعني توأم".

تنظر النائحات إلى بعضهن:

"توأم توأم، مش حتخرج".

حور:

"لا إلـه إلا اللّـه، ورب أخنـاتون، رب أخنـاتون العظيم، حخرج".

تبتسم نفرتيتي:

"ما دام قلت أخناتون العظيم، حنخرجك. خلينا نخلص الجنازة، وأنا أوعدك إنك تخرج معايا".

حور:

"يا ولية، أنت ميتة من زمان".

نفرتيتي:

"بغضـــب: أنا ميتة حية، مش على كيفك. فاهم ولا لا؟ أنت اللي دخلت هنا من غير إذني".

حور:

"والله ومش عارف مين اللي دخلني".

نفرتيتي:

"طيب، عمومًا، أنت مش حتخرج إلا لما يخرج أخناتون للآخرة".

حور:

"يخرج إزاي؟ أخرج معاه ليه؟ لا، مش عاوز، أنا عاوز أخرج الآن".

نفرتيتي:

"حأخرجك، حوعدك إنك حتشوف الشمس، الشمس بتاعت أخناتون العظيم".

حور:

"شمس؟ أنا عاوزة أشوف الشمس، وديني للشمس".

نفرتيتي:

"أنت بتحب الشمس زينا؟"

حور:

"حد مش عارف الشمس؟ قولي لي، أنت مجنونة؟"

نفرتيتي:

"اسمع يا حورس".

حور:

"بغضب: أنا حور بس من فضلك مش حورس".

نفرتيتي:

"احنا صـــورناها للإله آتون، رب أخناتون. تعرف، أنا مش عارفة أنت اسمك إيه يا حورس".

حور:

"تاني حورس؟"

نفرتيتي:

"بس المهم، الشـــمس دي أكبر حاجة وأحنّ حاجة عند أخناتون، وعندنا كلنا، بيحبها أوي. ونحبها إحنا، أصـــلها آية من آيات ربنا، وراها ربنا هي الشمس، وراها ربنا، فاهم؟"

حور:

"بس مش وراها ربنا، ربنا أكبر من كل دا، دا عنده بدل الشـــمس آلاف الشـــموس، ممكن أخرج وأشـــوف الشـــمس بتاعتك؟"

نفرتيتي:

"ربنا واحد، مش آلاف الشـــموس. ســـامع؟ ولا أخناتون بيحب الشـــمس قوي زي ما قلت لك، عشـــان وراها إله عظيم بناها، وبنى العالم وكله. ربنا العظيم، مافيش غيره".

تبكي...

حور:

"أنت بتبكي ليه يا ولية؟ أنت جوزك مات من زمان، من زمان قوي".

نفرتيتي:

"أنا عارفة إنه لو خلصت الجنازة، لازم أطلعك من هنا. ما تخافش، بس أنا ملكة. خليك فاكر بقى، خذ لك كم يوم معانا، وابكي معانا، وأخرج".

حور:

"يا أختي، أنا هنا في مقبرة، وأنا حي. أعمل معاك إيه؟ أنا عـايز أكـل وشـــرب، أنتي روح، مش هتـاكلي، افهمي يـا وليـة. أخناتون من زمان ده ميت أصلًا، أنتي ميتة".

نفرتيتي:

"أنا مش ميتة، أنا روح بحس".

حور:

"عايشة؟ أرجوكي، قبل ما تخلص الجنازة، سيبيني أخرج. شـــوفي، إذا خرجتيني، حأقول لك على كل حاجة حصـــلت. حاجات كتير حصلت، كثير أوي".

تقترب منه نفرتيتي:

"مش عـاوزة، مش عـاوزة أعرف إيـه الحكـايـات اللي حصـــلـت، بس عـاوزة أعرف أنـت دخلـت إزاي وليـه بتقول إن الشمس مش واحدة".

حور:

"طيب، خرجيني وأوعدك حقولك كده دخلت إزاي".

نفرتيتي:

"أنت تعرف لا، وبتكذب ليه؟ ليه أنت كداب بقى؟"

حور:

"بقول لك إيه، أنا مالي بجنازتك. ما تغوروا في ســـتين داهية، أنتم دنيا تانية واحنا دنيا تانية. احنا عندنا ملوك، عندنا حكام، وعندنا رؤســاء. وعندنا ملوك في كل عصــر، وعصــر يروح وعصر يجي. سيبيني بقى أعيش حياتي كلها".

النائحات:

"اخرس، أنت مزعج جدًّا. أنت عملت إزعاج جدًّا، أه والله، يا ملكة، سيبيه يخرج. لازم الأول جنازة أخناتون تخلص، وبعدها نشوف الراجل المتخلف ده".

ينظر لها حور شزرًا: "اخرسي!"

نفرتيتي:

"مش حسيبك لغاية ما تبكي على أخناتون".

حور:

"أنا مؤمن، والله مؤمن بربنا ورب أخناتون، بس خرجيني".

نفرتيتي:

"كل ساعة تقول لي: خرجني! أنت عارف أخناتون ده بنى معبد عظيم وكبير أوي أوي، ورسم شمس كبيرة فيه. الشمس اللي تعرفها واحدة، واللي هي واحدة مش ألف، الشمس دي بتاعتكم واللي خلقها ربنا، رب أخناتون هو اللي خلق الشمس، يعني الشمس أكبر من كل حاجة. عشان كدا عرفنا إنه ربنا واحد".

حور:

"والله، وأنا أعرف إنه ربنا واحد، ربنا أكبر من الشـــمس أصلًا، الشمس بس في حاجات أكبر من الشمس".

نفرتيتي:

"يعني في حاجة أكبر من الشمس؟"

حور:

"أه، في السماء في كثير حاجات وفي كثير كواكب".

نفرتيتي:

"أنت جني بقى، وأنا بقول عارف إزاي؟"

حور:

"أنا جديد يا ملكة، أنا جديد. سـامعة؟ ولا أنتم قدام قوي قوي قوي؟ ده إزاي أنت من 4000 سـنة وزيادة؟ يا شـيخة روحي، في حاجات الناس اكتشفوها، حاجات كبيرة وكتيرة".

نفرتيتي:

"مش بقولك جني؟"

حور:

"بقولك إيه، آه، جني، عاجبك؟ لا إله إلا الله، أرجوك، خرجيني. طيـب، أنـا طبعًـا حـأقول لـك على حـاجـة وتخرجيني. أصلًا أنا كنت جني وقصوا جناحي".

نفرتيتي:

"ما تهزرش معايا، أنا ملكة!" وتبتسم...

حور:

"أخيرًا!"

لكنها تمسك ضحكتها.

"أنت تبكي بس ما تهزرش، يا حورس، حور، لا حورس".

نفرتيتي:

"بس المهم، حورس ده اللي نعرفه".

حور:

"قلنا مليون مرة حور!"

نفرتيتي:

"اســـمع يا حور، أنا وأخناتون كنا بنشـــوف الناس أنهم بيختلفوا جدًّا في ألوانهم وأشـــكالهم، بس في حاجة بتجمعهم كدا، وفي حاجة مشـــتركة بيننا وبين الحيوانات. كلنا أرواح، أنت عارف الأرواح، كلنا واحد، وربنا واحد. وعشـان ربنا ورا الشـمس الكبيرة كلها دي، وهي واحدة، عشـــان كذا عملنا المعبد ده والشـمس الكبيرة اللي فيه وقلنا إنه واحد، مش آلهة كثيرة زي آلهة أمون".

حور:

"حتى أنا أعرف إنه واحد، ربنا اللي خلق الدنيا كلها".

نفرتيتي:

"أنت بتاعنا اهو!"

حور:

" بتاعنا! أقول لك إيه، أنا مش بتاع حد، أنا بتاع ربنا بس".

نفرتيتي:

"أنا مرتاحة لك، أصـــلًا بيني وبينك أنا خايفة، أنا خايفة أرجع للكهنة، أصـلًا آلهتهم كتير زيهم. أنت عارف إنه الناس هنا كـانـت بتموت في جمـالي ده. بص، مصـــوريني إزاي في كـل مكان؟ وأنا فرحانة وأنا زعلانة وأنا بأبكي، وأنا بضـحك وأنا لابسـة وأنا مبتسمة، وأنا مع أخناتون، وأنا وأخناتون!"

وتبكي بشدة.

حور:

"هو إحنا رجعنا نعيط تاني؟"

نفرتيتي:

"إزاي؟ أنا سبته طول الفترة دي!"

حور:

"ما أنتي زي الحريم تتعود على جوزها وتطفش منه!"

نفرتيتي:

"والله يا حور، أنا بحبه جدًّا!"

النائحات تنظر بغيظ لحور.

حور:

"عينهم عليَّ النائحات دول!"

النائحات:

"ده لازم يخرج يا ملكة. أول ما تخلص الجنازة بالله، واطرديه بره الشمس، يا ملكة أحسن".

حور:

"أنت مقهورين مني ليه؟ أنا عملت لكم إيه؟ أنا بسمعها، ملكوش دعوة. أنا راضي!"

يبتسم لنفرتيتي:

"وأنا بحب الملكة نفرتيتي، إيه رأيكم بقى؟ والحمد لله إنكم بتكرهوني!"

النائحات:

"أنـت اتجننـت! أنـت إزاي إنـك تحـب الملكـة مرات أخناتون العظيم؟"

حور:

"أحبها ولا أكرهها؟ أنتم ملكوش دعوة بيا خالص!"

النائحات:

"أنت غريب وغبي وماتعلمش حاجة!"

حور:

"أنتم الغرب، ترى أنتم ميتين".

النائحات:

"نعم، وانت اللي حي يعني!"

حور:

"آه، حي! لا إله إلا الله، عاجبكم ولا لا؟"

النائحات:

"أنت عامل زي الكهنة الظالمين!"

حور:

"خالص، عشـــان أنا مؤمن بإله أخناتون، أنا الآخر، أنا راجل وحي بيقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله".

تسكت نفرتيتي.

عينها على رجل من بعيد وكأنه أحد قادم يقترب منها، شاب وسيم. شاب مكحل العين، يسمح بتقبيل يد الملكة، يقبل يدها.

تنظر له بعتب:

"ليه يا توتو كده؟ ده كان بيحبك خالص!"

توتو:

"أنا اللي كنت بحبه".

نفرتيتي:

"بغضب: عشان كده خنته مع الكهنة؟"

توتو:

"مش ســـامع؟ خنته إزاي يا ملكة؟ أنا خليته مش موحد عشان كهنة آمون ما يقتلوه".

نفرتيتي:

"شـفت، يا حورس، أخناتون بيحب السـلام إزاي؟ حتى مع أعدائه، وحط الســـلام كله في الأرض. بس كان آمون وكهنته

مش عـاجبهم إلا واحـد، ولا عـاجبهم التوحيـد، ولا عـاجبهم السلام. وللأسف، توتو اتعاون معاهم".

توتو:

"اعذريني، أنا بحبه وكنت بتعامل معاهم عشان أحميه".

حور:

"وأنا مالي ومالكم يا ولية يا اللي اســمك ملكة؟ خرجني، أنا مالي في أخناتون وآمون، ومن اللي فوق. خليني أخرج أشــوف الشمس، عاوزة أشوف الشمس!"

نفرتيتي:

"شفت إنك مؤمن بالشمس!"

حور:

"آه، أنا مؤمن بالشمس، خارجيني!"

نفرتيتي، وهي تنظر لتوتو بغضب شديد:

"ابعد من هنا! انت متســتاهلش تكون معاه، وفي جنازته! اطلع برة!"

توتو:

"أنا آسف، سامحيني يا ملكة".

يلتفت توتو لحور:

"أنت مين؟ ولابس كده إزاي؟"

حور:

"خرجني معاك يا توتو".

توتو:

"وأنا مالي فيكم؟ روح في داهية، هو أنا ناقصك؟"

حور:

"يخرب بيتك يا منافق! ولابس إيه؟"

توتو:

"اســمع، احترم نفســك! أنا أحترم نفســي أوي! أنت إيه دخلك بيناتنا؟ أنت مين؟ أنت جني ولا إنسان؟"

حور:

"احنا حنعيده، احنا كل شوي نعيد!"

توتو:

"أنت جني بقى!"

حور:

"أنا جني ولا إنس، مالك! أنت تقترب منه".

نفرتيتي:

"ســـيبك منه، ليه يا توتو؟ ليه عملت كده؟ حرام عليك! أنت خليته آخر عمره يؤمن بتعدد الآلهة".

توتو:

"بقول لك أنا سيبته عشان كده، عن إذنك أنا حمشي".

ينظر لحور:

"ماليش دعوة بيك".

حور:

"في ستين داهية!"

نفرتيتي:

"خاين!"

حور:

"وأنتي سبيتيه ليه؟"

نفرتيتي:

"وأنت عرفته ازاي؟"

حور:

"أصل كنت أقرأ لكم كتير".

نفرتيتي:

"حورس، أنا تركته لما كفر بالتوحيد وغير رأيه في أتون العظيم. عشان كده أنا سيبته، أصل أنا موحدة".

حور:

"ماكنتي أرشدتيه! هديتيه؟"

نفرتيتي:

"أنت عارف إنه رجع للتوحيد، الحمد لله. قبل ما يموت، صـــدقني مات على التوحيد، والحمد لله إنه رجع. أنت مؤمن زينا؟ آه، ده ربنا واحد. عجبك؟ أنا متأكدة إنك مؤمن زينا يا حورس".

فجأة يأتي صوت من أعماق المقبرة:

"لروحك السلام يا أخناتون. لروحك السلامة والتوفيق".

تبكي نفرتيتي.

حور:

"كل شوية بكا".

النائحة:

"مش جنازة!"

حور:

"أنا مش مبسوط قوي، عاوز أخرج عشان أنبسط، أنا جعان، عطشان، وحران. أنا بس مش مرتاح، أنا عاوز عمر".

نفرتيتي:

"اللي عاوزه حنجيبه. عمر حنحاول نجيبه يا احنا نسأل عنه في مملكتنا وفي خارج المملكة، وحنأكلك أحلى أكل. أنت أعمى، مش شايف الأكل قدامك؟ بس تخلص الجنازة وحتاكل يا حور. بس أنا مش عارفة ليه مرتاحة ليك".

حور:

يبتسم.

"يمكن عشان روحك فيها شبه من روحي".

النائحات:

"سيبيه يا ملكة! ده مش وش نعمة أبدًا!"

حور:

"ربنا يخرب بيتكم، أنتم تسكتوا خالص. أنتم مالكم دعوة بيا؟ مال الملكة أصـــلًا بي؟ أنتم حاقدين عليها، أصـــلًا مش فاهمين حاجة. والله لأضربكم!"

النائحة:

"ولا احنا حبيناك أصـــلًا! لا، أنت يا متخلف! احنا اللي حندبحك ونبكي عليك".

نفرتيتي:

"أنتو بتتخانقوا قدامي. بتتخانقوا وســـط جنازة أخناتون! ما تستحوش على دمكم! ده أنا الملكة، وده في أماني".

النائحات:

وهم يؤشرون على جزء من الصورة:

"كان هناك رجال يلبسون أزرة خفيفة يبنون الأهرامات".

النائحات:

"بص، رجالتنا عاملة إزاي! كلهم عضـــلات مش زيك! لابس إزاي؟"

حور:

"والله معكم حق، أول كلمة حق تقولوها! ولو دي رجالة فعلًا!"

نفرتيتي:

"طبعًا، دول اللي بنوا الأهرامات العظيمة عشان نرتاح فيها واحنا في الآخرة، ونقابل رب كريم، واحنا في أحسن حال وأحسن لبس وأحسن أكل وشرب".

حور:

"هي روحكم فين؟"

روحهم:

"مالكشي دعوة".

حور:

"آمال، أنت بتكلميني إزاي؟ أنا من الأرض، وانتو في السما! وفي الأرض أنا أتلخبط".

هي تحدق فيه بشدة:

"أصلًا روحنا بتزورنا، وبطل فكنا! عاوزين نبكي شوية".

حور:

"وأنا مش ميت! أنا لحم ودم! سامعة! عشان كده أنا عايز آكل وأشرب، ولا حموت زيك!"

نفرتيتي:

"لما يجي أجلك حتموت".

نظر إليها حور طويلًا.

"تلبسي حاجات حلوة أوي يا نفرتيتي، جواهرك وأحجامها حاجة جميلة أوي".

نفرتيتي:

"عجبوك الأحجار؟ أصـــلًا احنا الفراعنة بنحب الأحجار أوي! تكلمني الأحجار كل يوم".

حور:

"بسم الله الرحمن الرحيم".

نفرتيتي:

هي بتتكلم بس أنت مش راح تسمع صوتها أبدًا".

حور:

"ولا عاوز أسمع صوت حد! وعاوز أخرج".

نفرتيتي:

"الاعتراف اعتراف! اعترف وبعدين أقول لك أنت حتخرج إزاي!"

تبكي نفرتيتي.

"أخناتون، لروحك السلام!"

النائحات يلطمن معها.

"لازم تكتب اعترافك يا حورس".

حور:

"بقول لك، أنا حور! أعترف! أكتب إيه؟"

نفرتيتي:

"تكتب كل الذنوب والخطايا اللي عليك عشـــان ربنا يرحمك، رب أخناتون العظيم".

حور:

"بقول لك دينكم مالي بيه! أنا مش عاوز أكتب خطايا! أنا حخرج، عاجبك ولا مش عاجبك!"

نفرتيتي:

"لا، مش عاجبني! اكتب اعترافاتك كلها عشـــان يبقى بداية الحياة، واحنا عندنا برضه الحياة الحقيقية".

حور:

"بص بقى، أنا جعان وعايز أنام! أنا بشر بني آدم!"

نفرتيتي:

"انت حر! اخرج من الباب! افتح باب المقبرة!"

نظر إلى نفرتيتي:

"أنا ارتحت لك قوي!"

تنظر إليه نفرتيتي:

"حتى أنا".

حور:

"طب ممكن أقعد معاك شوية بس عشانك بس؟"

نفرتيتي:

"أنـت حر، بس أنـا محتـاجـة لـك! أنـا عـاوزة أفضـــفض بصراحة! أنا ندمانة إني سبته!"

حور:

"طيب، فضفضي وارتاحي".

نفرتيتي:

"اتفقنا".

تبتسم وتنظر إليه.

النائحة:

"أنت بتبص لي بغيظ كده ليه؟ كنت قتلت أمك!"

النائحة:

"أنت عمرك ما كنت زينا خالص!"

حور:

"ليه يا أختي؟ على راسك ريشة!"

يكمل حور:

"بنشتغل ونشرب ونأكل زيكو! كلنا عندنا لحم ودم".

النائحة:

"لا، احنا بنشتغل شغل كل ساعة! احنا بناكل طقة واحدة بس عشان نقدر نشتغل تاني، لكن ناكل على قدنا".

"ممكن تسكت! عايزة أبكي!"

حور:

"ابكي، وأنا مالي؟ آه! تصـــوري أنا محبوس مع عمر طول عمري، وفجأة مش عارف مشي فين، وسابني!"

تنظر له نفرتيتي:

"أنت في جنازة، ما تلم نفسك!"

حور:

"مش عارف مين المجرم اللي حبسني! وحبسه مرة تانية! تعالي، اخرجي معايا!"

نفرتيتي:

"لا، لا! مش حسيبه تاني! أنا ندمانة أوي إني سبته!"

حور:

"طب يا أختي، اقعدي جنبه تاني! وماله! تقعدي ازاي وأنتِ ميتة أصلًا؟"

يضحك مرة أخرى.

نفرتيتي:

"ما تلم نفسك!"

حور:

"أنت مش حتعيشي! حتموتي! أنت امتي أصلًا؟"

نفرتيتي:

"طيب وماله! أصل الموت هو الحياة اللي بجد! أنت مش قريت عندنا كتاب الموتى؟"

حور:

"أنا قريت كل حاجة إلا الموتى ده!"

نفرتيتي:

"احترم نفسك! ده الكتاب أحسن كتاب في الدنيا! ده بيتكلم عن الآخرة".

حور:

"خليكي في الآخرة، وأنا حخرج للدنيا، أصل ما عشتش فيها".

نفرتيتي:

"حكم ربنا بقى إني شفتك!"

حور:

"بقلك إيه، هو الراجل بياكل الميت عندكم إزاي؟"

نفرتيتي:

"راجل مين ده؟"

حور:

"اللي سمعته بيقول شعيرة الفم! ويفتح فم أخناتون".

نفرتيتي:

"أصل الميت لازم يأكل عشان الروح تزوره وتأكله لغاية ما تجي الآخرة، لازم يعيش كويس!"

حور:

"هههههه! وياكل ويسمن!"

نفرتيتي:

"أنت بتهزر! ابكي! أحسنلك، أو اخرج من هنا!"

حور:

"طيب، حبكي، أصـــل أنا حاســـس إني بأبكي على نفسي!"

تبكي نفرتيتي:

"على نفسك؟ لا! ابكي على أخناتون!"

وتكمل: يا حور آه، هو أنا ناقصـــاك! أنت عارف، رغم لسانك الطويل بس فيك الحاجة اللي مريحة للقلب".

حور:

"متشكر، بس أنا استفدت إيه من كلامك؟"

تنظر له النائحة بغيظ:

"هو أنت كل مرة بتبص لي كده؟ جاتك داهية!"

تخاطب نفرتيتي:

"ماتسيبيه يخرج!"

حور:

"طب أنا قاعد على قلبك يا كذابة".

نفرتيتي:

"ممكن تنكتموا أنتم الاتنين! جننتوني!"

النائحة:

"آسفين يا ملكة".

حور:

"أول مرة نتفق نقول حاجة واحدة".

يقترب رجل من الذين يجرون الثيران:

"إزيك؟ أنت مين؟ ولابس كده ليه؟"

حور:

"أنت اللي مين؟ هو أنا نقصك؟"

الرجل:

"أنا معاك، ممكن تجر معايا".

حور:

"أجر معاك بس تخرجني من هنا".

الرجل:

"اشـــتغل يا أخي، وتخرج تعمل إيه هنا؟ في شـــغل كتير، الإيد البطالة نجسة".

حور:

"يا بني، أنا عاوز أشوف الشمس عشان أقدر أجر معاك".

الرجل:

"مـــا تشـــوف أتون رب الكون ورب أخنـــاتون، ده قوي وحيقويك أوي. عمومًا، خليك مع نفرتيتي أحســـن، تعزيها وتكون جنبها".

حور:

"أنا فاضيلك أنت والملكة بتاعتك".

الرجل:

"أمال أنت فاضـــي لمين؟ ومش لابس زيّنا؟ ولا راضـــي تعمل الحاجة؟"

حور:

"بقولك غور يا روح، روح بس برضـــه أنت بتعمل إيه؟ يعني بتجر تور بهيمة".

الرجل (وهو يضحك):

"تور تور وبجره عشـــان ده ملك عظيم، كلنا لنا دور في آخرته. وبرضـه شـاركت في رسـم الصـورة دي. أنت في الصـورة عشان كده لازم تعمل حاجة".

حور:

"الله نفسـي أخرج منها! صـورة إيه، هم في قبر ما يعلم بيه إلا ربنا!"

الرجل:

"خليك معانا".

حور: (وهو يصرخ في وجهه)

"مش عاوز أكون معاكم يا أخي!"

الرجل:

"احنا بنبني للمومياء بيت وبنحطها وبنعمل لها البيوت الكبيرة دي عشـــان تكون مرتاحة في بيتها. دي متحف الآخرة. عاوز شغل، أصلًا بيت الكبير يبقى مرتاح أوي في الآخرة".

حور:

"يا راجل، يعني أنت بيتك فين؟"

الرجل:

"احنا مســـاكين بقى، خلاص. المهم هم يرتاحوا، واحنا يكفينا لقمة العيش ورضا أتون الكبير".

تنظر إليه نفرتيتي:

"هذا شرف إنك تكون معانا".

تنظر له النائحة ناحية حور، تنظر له بغيظ شديد:

"ما تسيبيه يا ملكة، هو حياخد زمنه وزمن غيره!"

حور:

"امشي يا بت، يلا امشي أنت، ما تحلي عني يا ولية!"

نفرتيتي:

"بقول لك إيه يا حور، اقعد معايا. أنا مرتاحة لك أوي، وأنا عايزة قلبك يكون معايا. أنا أحســـك. يا حور، أنت قلب في كل إنسان. كل قلب فيه حور. صح، أنت القلب يا حور".

حور: (وهو يبتسم لها)

"أنا مش قلب بس، أنا عين ويد وكل حاجة. أنا راجل وكل حاجة. أصلًا، أنا ما صدقت إني حأخرج. عمر وحشني! آه، آه،

أخوي وحبيبي وروحي. احنا بنحب بعض أوي ونكمل بعض، وسبحان من جابني هنا".

نفرتيتي:

"أنت أصلًا جيت للنهاية".

حور:

"النهاية؟ يا ولية!"

نفرتيتي:

"أنا مش ولية، أنا ملكة".

حور:

"ملكة؟ أنا عاوز أشوف الحياة. عاوز أشوف الشمس بتاعتكم، أشم الهواء. عاوز آكل وأشرب وأعيش".

نفرتيتي:

"وتعيش، حتعيش يا حور. افهم بقى".

يقترب منهم الكاهن الذي كان يحاول فتح فم أخناتون:

"وبعدين معاك! أنت عامل صوت هنا كده ليه؟ أنت مش لابس زينا ليه؟"

حور:

"تاااني! أنا بقول لك لو ســـمحت تخرجني من هنا. أنا لسه في الدنيا. أنت حتخرجني بالعافية ولا أهد عليكم الدنيا؟"

النائحة:

"ســـيبه يا كاهن! بقول لك إيه، أنت حامي علينا ليه؟ ما تكون زي ملكنا أخناتون، باله طويل ويحب الناس الغلابة".

يقترب حور:

"أصلًا أنا بحس إني صرت روح زيكم".

نفرتيتي:

"إنت فطرة. أنت الفطرة، صح!"

حور:

"أول مرة تقولي لي قلبي ومرة تقولي لي فطرة. عشان برتاح لك".

نفرتيتي:

"أنا كمان برتاح معاك. وأنت كدا كدا زي الفطرة، زي البنت البكر، زي الحاجة الحلوة".

حور:

"ما تقولي لي بنت، أنا راجل!"

نفرتيتي:

"عادي، بس كدا، من السما جاي، صح؟"

حور:

"والله أنا مش من السما، من الأرض زيكم".

تقترب النائحة من نفرتيتي:

"تعالي يا ملكة، نجلس على جنب".

كان كاهن يحرق البخور ويرش الماء من القارورة والبخور.

"تعالي وتعالَ، إنهم يلطمون ويبكون جميعًا".

الكاهن:

بصوت مرتفع:

"يا من جعلت الأرواح كاملة، اجعل هذه الروح منتصرة معك على الدوام!"

كان الكاهن يتلو لنا، والنائحة تبكي، ونفرتيتي تبكي، وكل من في الصورة يبكون.

يكمل الكاهن:

"لتسطع روحك يا أخناتون فوق جسدك يومًا بعد يوم".

حور يسعل بشدة، نبضات قلبه تعلو بشدة، وعرقه غطى قدمه. ما هذا؟ صار يسعل، وكل جزء من الصورة يظلم، بداية من

الثيران حتى الرجال الذين يجرونها. قليلًا قليلًا تنطفئ أجزاء كبيرة من الصـــورة، حتى النائحة تنطفئ رويدًا رويدًا، وهي تحملق في عين حور. وحور يسعل ويغضب:

"غوري من قدامي!"

ونفرتيتي بدأت تظلم. يقترب منها حور:

"تعالي معايا".

تنظر، تبتسم، تهز رأسها وتغيب في الظلام.

يقترب الكاهن من حور:

"كفاية".

ويكمل:

"بقى أنت طولت هنا أوي".

يبخره ويعطيه ظهره، ويخرج من جدار المقبرة. يحاول حور أن يلحقه، يسقط مغشيًّا عليه.

ينفتح مشهد آخر: عمر في حضن أمه وهي لا تشعر به. تقوم من نومها:

تنظر صباح إلى الدولاب:

"لا حول ولا قوة إلا بالله!"

كانت صـــورة زينات في مرايا في وجه الدولاب. صـــباح برعب:

"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم!"

تتجه يدها إلى فتحي توقظه بقوة:

"قوم، أمك في الدولاب!"

بالكاد أكملت جملتها، وهي ترجف. لكن فتحي كان في نوم عميق. صباح تهزه بقوة وفمها يرتجف:

"فتحي، قوم بسم الله الرحمن الرحيم!"

كانت زينات تهزها من كتفها الآخر. تنتفض صـــباح، ترتمي أرضًـا. يمسـكها عمر، يحضـنها محاولًا تهدئتها. صـارت صباح تنظر يمينًا شمالًا، وزينات تضحك وتقترب منها، وصباح تصـرخ. وزينات كانت تقترب منها، حتى عمر صـار يصـرخ مع أمه، وجرى على أبيه، أسقطه بقوة من السرير للأرض. وفتح فتحي عينه، ونظر لصباح ولنفسه، هو ملقًى في الأرض وصباح ممددة في الأرض، ولكنها مغمى عليها مع عمر، قام فتحي فزعًا، أمسك بكوب من الماء وصبه على وجهها. فتحت صباح بالكاد عينها، نظرت لفتحي ولم تتكلم. فتح فتحي الدولاب ســريعًا، أخذ العملين وجرى خارج البيت.

كان المشـــهد مخيفًا جدًّا. صـــباح تبكي، لا تقوى على الحركة، كأنها مشـــلولة. عمر مغمى عليه. صـــوت النافذة يغلق ويفتح مع الريح، يصدم العقل والقلب معًا. كانت صباح تحملق بلا حركة في الدولاب، وصورة زينات تكبر وتصغر على قهقهات عالية. وزينات الأخرى تمسك بيد صباح وتضحك. تدخل سيدة من الباب:

"هما مالهم؟ مافيش صوت حد في الصالة وتاركين الباب مفتوح ليه؟"

تدق ســـيدة حجرة زينات، تفتح لها وتنظر لغرفة فتحي وتبتسم. سيدة:

"معلش، أصل لقيت الباب موارب ودخلت!"

تضحك زينات: "خشي يا مصيبة أنتِ".

سيدة، وهي تنظر مفزوعة: "هو في حاجة تنظر لها؟"

زينات: "خليكي في حالك".

سـيدة، وهي تخرج من صـدرها مبلغًا ضـخمًا: "خدي، خلصـيني. الراجل ضـرب أبويا، قام ضـربه أبويا وراح ضـاربه مرة تانية.

أعمل إيه يا خراب بيتي؟ أبويا في المستشفى بين الحياة والموت، والراجل ملقح في السجن! آه يااانا".

زينات بغباء: "وأنا مالي؟".

سيدة، يتعجب: "إزاي ده؟ أنا بعمل على كل اللي بتقوليه".

زينات: "ولا يهمك يا بت، أنا عارفة السبب وحخلصك".

سيدة، وهي تقبل يدها: "وحياتك، خلصيني".

زينات: "متخافيش، المرة الجاية راح تحلفي بحياتي بجد. غوري، أنتِ دلوقتي".

"يخرب بيتك يا سيدة، هو ده وقتك!" دخل فتحي لحجرة أمه وهو يلهث ويعرق بغزارة، وقد بدا عليه إجهاد كبير. ارتمى أمام زينات، وأغمض عينه. قامت زينات بقرف، تركله بقوة: "قوم يا كلب".

ينظر لها فتحي، ويغمض عينه. ترفعه وتهمده على الأرض: "قوم يا كلب، أنت تورطنا مع الناس. عملين يعملوا إيه

عندك في الدولاب؟ دي الناس تقتلني من المصـايب اللي عمالة ترِف عليها بسبب عملتك".

ينظر لها فتحي: "سامحيني، أنا دفنته خلاص زي ما أنتِ عاوزة، بس خلصـيني أنا وصـباح. أنا مش قادر أتحرك، وصـباح اتشلت تمامًا. أنا أول مرة أدفن في الليل".

تنظر لفتحي بغضـب: "هي حصـلت إيه يا فتحي؟ أنت مش عارف مين زينات؟".

فتحي: "آخر مرة راحت عليَّ نومة، والله".

زينات: "راحت عليك نومة إزاي؟ استني يا سيدة، استني أتريها سيدة من مصيبة لمصيبة حصرفها يا فتحي منين؟ ونعمل مع المسكينة دي إيه؟ بقى إيه؟".

فتحي بهمس لأمه: "سامحيني يما".

زينات، بتعجب: "جرالك إيه يا فتحي؟ كده تقصر رقبتي معاها ومع الناس".

فتحي: "أنا تعبان، تعبان أوي".

زينات: "هي الهانم مأثرة عليك".

فتحي: "أنا دفنت العملين في الليل، وتعبت بعدها".

يحاول تهدئتها: " يما أنت الحب الوحيد، يما، كنت ومازلت".

زينات: "اعذريني".

زينات، بسخرية مع غضب مكبوت: "يا فتحي، ماتنساش إني أنا اللي ربيتك".

فتحي يطرق برأسه: "عمري ما حنسى يما، بس شيليهم مني".

زينات: "عشانك وعشان الكلمتين دول".

تذهب للمطبخ، تأتي بجمرة مولعة، تفتح دولابها، تأخذ منه البخور، وتبخر وتتمتم. يقوم فتحي يسعل بشدة، يجري على صباح، يراها جالسة على كنبتها تقرأ القرآن، يقبل جبينها: "أنت أحسن مني يا صباح".

تغلق المصحف، تقترب من فتحي، تجلسه على السرير وتحدق في عينيه: "يا أنا يا هي، أنت فاهم؟".

فتحي: "ما أقدرش أبدًا، دي مش أمي".

صباح، تجحظ عيناها: "فتحي، أنت تعبان، نام دلوقتي".

فتحي: "اسمعي، الولية دي مش أمي".

صباح: "وأبوك؟".

فتحي: "أبويا هو أبويا، وهي اللي قتلته، الله يرحمه. ما قليش إلا قبل ما يموت بيوم".

صباح، وهي تمسكه بقوة: "مين أمك؟".

فتحي: "مش عارف. كان خايف عليَّ منها طول السنين دي. لو عرفت أمي، جايز أروح لها وأسيبها. حتأذيني، ويمكن تقتلني كمان. هو قالي الكلام ده ومات بعدها بيوم. ما تركليش فرصة أعرف أي حاجة".

صباح تتنهد: "وأنا مستحملاها السنين دي كلها".

فتحي: "عشان تعرفي أنا ليه استحملتها طول السنين دي كلها".

صباح: "والله، مش حرام عليها تحرق قلبك؟ إيه المرة النحس دي؟ أي حاجة النحس دي تعملها. دي وليّة، ما تخافشي من ربنا. دي على الأقل كانت رحمتك".

تسمع شخير فتحي وهو يغط في سبات عميق. يقوم فتحي بعد غفوة غصبًا عنه، كان يذهب لحجرة زينات، يدق، وهو مجهد.

زينـات، بحنيـة غير معتـادة: "تعـال يـا ابن أمـك، خش جوة".

فتحي: "يمـا، أنـا في حنكي لحنكـك كلام، اه يمـا، عندي حاجات أنتِ عارفاها".

زينات: "الأم اللي ربت يا فتحي، ولا إيه؟".

فتحي: "أكيد، يما، أكيد".

"بس من باب العلم بالشيء يعني".

زينات بتحدٍّ: "وتعلم بيها ليه؟ عشان تروح لها وتسيبني".

فتحي: "لا، يما، مش ممكن أسيبك أبدًا".

يـدخـل عمر عليهمـا، يفتح البـاب بصـــوت منخفض، يمسك بأبيه: "تعال قوم معايا".

أبوه لا يحس. تنظر له زينـات نظرًا طويلًا حـادًّا، يبـادلهـا عمر نظرته.

فتحي يستغرب: "يما، في حاجة؟ أنتِ بتبصي لحاجة؟".

زينات: "كله بأوانه".

تبادل عمر النظرات.

فتحي: "طب، يما، عمر وحور".

تنظر له زينات طويلًا، وتنظر لعمر: "مالهم؟".

فتحي: "أبوس إيدك، ولادي فينهم؟".

زينات: "مالك يا فتحي، النهارده أبدًا مش طبيعي، يا بني".

فتحي يترجاها: "يما، بس دول أولادي".

تنهض زينات وقد نفد صبرها، وبغضب شديد: "قلت لك إنهم في أمان".

فتحي، والدمع في عينيه محبوس: "طيب، سيبيني أشوفهم".

يبكي عمر: "وحشني أوي يا با، يحضنه بشدة".

تنظر إليه زينات بحقد: "خلاص، أهم متلقحين عندك".

فتحي، وهو يمسح دموعه: "بجد، فينهم؟"

يبحث يمينًا ويسارًا، يعرف أنها تستهزئ به: "خلاص، يما، اللي تشوفيه".

يخرج فتحي منكسِرًا، ويخرج معه عمر، وزينات تنظر له حتى خرج.

تخرج معهما زينات غاضبة، تدخل حجرة صباح. كانت صباح تصلي وتبتهل وتبكي. تقترب منها زينات: "لولا إنه فتحي متعلق بيكي، كنتي في خبر كان".

تنظر لها صباح: "منك لله، أحسنلك ابعدي عني".

زينات بتحدي: "مالكيش دعوة بيا أبدًا، خليكي في حالك".

صباح: "طب، أنا في حالي، هو في أكتر من كده حالي؟"

زينات تضحك استهزاءً: "أنا وأنتِ ماننفعش نكون مع بعض أبدًا. أحسن ليا وليكي".

صباح: "والله، ده أملِي. لولا كسرة ابنك، كنت سيبت البيت ده".

وتكمل ودمعها مكتومة: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومنك أنتِ. اعملي اللي أنتِ عايزاه، أنا مش خايفة منك أبدًا".

تمسك زينات برقبتها، تحاول خنقها. يجري فتحي: "ليه، يما، دي بتحبك موت، لا!".

صباح: "ابعد، أنت أحسن، لتموتك".

يخلص فتحي يد أمه بالقوة من رقبة صباح. يمسك عمر برقبة زينات، يضربها على رأسها ضربًا شديدًا، ترتمي على الأرض، ولكن هناك أصابعها في رقبة صباح، منفصلة عن جسدها.

الكل ترك المشهد، وشهق الجميع.

الأصابع ما زالت تخنق صباح، وزينات أصابعها معها صريعة تصرخ وتتشنج على الأرض. فتحي: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن كيد الشيطان كان ضعيفًا". وبدأت صباح تتلو آية الكرسي بقوة كبيرة، وكلما تقرأ تصيح زينات وتصرع وتتشنج وتتفكك عنها الأصابع حتى تركتها واختفت. يمسكها فتحي، لكنها تتشنج وتعصب يديها وقدميها وتبدأ تتريق من فمها. فتحي: "وقفي يا صباح، كفاية كده، أمي بتموت". توقفت صباح عن القراءة، وتقول: "حسبنا الله ونعم الوكيل". تغيب زينات عن الوعي. صباح: "عشانك يا فتحي، أنت اللي تستأهل". يحاول فتحي حملها لكنها تسقط. يضحك عمر: "يخرب بيتك". يجرها فتحي إلى غرفتها وهو ينهج. يدق الباب بشدة. يفتح فتحي الباب بعد أن ألقى أمه على السرير. تدخل فتحية تقبل يد أبيها. "مسا الخير يا با". فتحي وهو ينهج: "خشي بسرعة. إيه الي جابك الساعة دي؟" فتحية: "دي خناقة أمي مع جدتي، جايبة الشارع كله". فتحي: "مافيش جديد يا فتحية، اللي بنصطبح بيه نتمسى بيه". تدخل فتحية حجرة أمها، كانت صباح مستلقية على السرير، وهي ترتجف من القراءة. فتحية

تحتضـــنها بقوة وصـــارتا يبكيان معًا: "يما اهدي، اهدي يا حبيبتي". صباح: "يا حبيبتي، وحشاني أوي يا فتحية، بركة إنك جيتي، ده أنا كنت هموت مووت". فتحية، وهي تشـــهق: "سلامتك يا ست الكل أنتِ، بعد الشر عليك يا حبيبتي".

"إزاي أبويا، عامل إيه؟" صـــباح تهز رأســـها بأســـف: "نحمده يا بنتي". فتحية: "برضـــك مع جدتي". صـــباح: "ربنا ياخدها". فتحية: "تصـيح، الله، هو إيه الجديد ياما؟". صـباح: "كل يوم وإحنا والولية دي في جديد". فتحية: "تطبطب على صـــباح، بس يما، اخرجي شـــوية من البيت". عمر: "اه، خليها تخرج زي ما خرجنا أنا وحور، لكن هو مين اللي خرجنا من الخرابة دي؟" لا أحد يسمعه. صباح بأسًى: "هو في حد له نفس بعد عمر وحور؟ مافيش نفس يا بنتي، والله لو حد يقولي إنهم ماتوا، أهون عليَّ من اللي أنا فيه". تحتضنها فتحية: "ما تفقديش الأمل بربنا، ده اسمه الكريم". صباح: "أبوك ده مش حيجيبها لبر يا فتحية، لزقة لأمه. كإنّها عاملة له عمل، يعني هو اللي مش حتعمل له عمل، دي عمله للدنيا كلها. والله يا فتحية، ممكن الولية دي تكون عملت عمل لابنها، آه، اللي هو أصـــلًا مش ابنها".

تلتفت فتحية: "إيه يما، مش ابنها؟". تستدرك صباح: "لأ، يعني قصدي إنه ما حدش يعمل في ابنه كده". فتحية: "أعمل لك لقمة يما؟". صباح: "نفسي انسدت يا بنتي، شوفي أبوكي لو ياكل". فتحية، وهي خارجة: "حاضر يما، ولو إني مش عاوزة أخش الأوضة بتاعتها". عمر: "اعملي لي أنا".

تدخل فتحية حجرة جدتها: "إيه الضيق ده؟". تسمي بالله وتسلم على جدتها وهي مستلقية كأنها قايمة من دوخة. زينات: "شفتي أمك عملت فيا إيه؟". فتحية: "تقبل رأسها، معليش، دي بتحبك، دي مصارين البطن بتتعارك". زينات: "وهي تبصق على فتحية، حبها برص ما تطلقها يا فتحي". فتحي: "ينظر لفتحية ويغمز لها، قومي يا فتحية، اعملي لأمي لقمة تسند بيها قلبها". فتحية: "تخرج بسرعة: حاضر يابا". تخرج فتحية. زينات بغضب من فتحي: "أنت هتطلقها ولا تسيبها تقتل أمك؟". فتحي: "يما، دي غلبانة، تقتل مين؟". زينات صارخة: "تطلقها ولا اقتلها!". فتحي: "وهو يشوح بيده، ما كفاياك بقى يما. كفاية أبويا، قتلتِ ولادي وضيعتيهم، عاوزة مني إيه تاني؟". زينات: "وهي تبصق عليه، والله لو مبطلت تقرأ القرآن، لأكُون دابحاها".

فتحي تجحظ عيناه وهو يحس بصدق كلامها: "حاضر يما، ريحي بس". زينات وهي تنظر له من فوق لتحت: "أنت يا فتحي، صرت غريب أوي، أنا ملاحظة إنك مش على بعضك". فتحي يقبل رأسها: "يما، ولادي فين يما؟". زينات، وهي تمسك بتلابيب جلابيته: "اسمع يا فتحي، لم مراتك دي، تكرهني موت، كنت حقتلهم بس يا ابني، عشان بحبك، راحوا في مكان أمين وأكلهم وشربهم بيوصلهم لحد البيت، عاوز إيه أكتر من كده؟". فتحي وهو يقبل يدها: "عاوز أشوفهم لو مرة واحدة، أنتي ضيعتِيهم ليه؟". زينات بحقد: "عشان أحرق قلبها، بنت الكلب دي!".

فتحي: "عشرين سنة ياما، العمر كله ضاع، وأنا بدور عليهم وعلى أمي، عشان خاطري ياما، فكيهم مرة واحدة، وأنا حطلقها". زينات، وهي مصرة وهي تحاول تنهي النقاش: "خلاص يا فتحي، أنا أديت أوامري من زمان، والموضوع خرج عن أيدي. في حد حابسهم ومش قادرة أخرجهم، افهم ياله، خرج الموضوع من إيدي، مش عاوزة الموضوع ده أبدًا ينفتح تاني". تقترب منه وهو حزين جدًّا: "ما تزعلش، ما تسبهاش جوز الإخص دي، بس لو قدرت تسيبها، أنا حجوزك ست ستها، بس

ما تقراش قرآن في بيتي، وما تقوليش أمي ولا ولادي، أنت فاهم، سيبني دلوقت، عاوزة أريح".

يخرج فتحي من حجرتها حاملًا همًّا كالجبل، يذهب لحجرته، ينظر شزرًا لصباح، ويستلقي على السرير. تنظر له صباح، تحاول أن تقترب منه، لكنه يتركها متمددًا على السرير وينام. تمسك فتحية بيد أمها وتمدد أمها على السرير وتطبطب عليها لتنام. تمسك صباح يدها وتقبلها. تضع فتحية صينية الطعام، وتغلق مصباح الجاز والباب بهدوء، وتخرج.

يقوم فتحي من نومه مجهدًا وهو يصرخ: "ارحمني، مش أنا!". توقظه صباح: "قوم يا فتحي، هو الكابوس ده مش عايز يرحمك؟". كان يتعرق بشدة. فتحي، وهو ينهج: "أنا تعبان، مش عارف أنام، أنا ما قتلتهوش". صباح: "معليش يا فتحي، أنت كل يوم والتاني كده، وبعدهالك يا خويا". فتحي: "صباح، صباح، أنا دفنته، بس، والله أنا سترته، مش قتلته، مش أنا، مش أنا، أنتِ فاهمة، أنا لقيته ميت في إيدي ودفنته". وهي تطبطب على ظهره: "معليش يا فتحي، قوم اتوضا وصلي، وحتهدى".

فتحي: ينظر لصباح، يقبل رأسها: "أنا بحبك، بحبك أوي، أنتِ اللي خرجت بيها من الدنيا، أنت النور اللي في

حياتي". صار يبكي وهو يحتضنها بقوة: "أنتِ نوري اللي بشوف بيه، ما تسـبينيش أبدًا، أنا بدونك ولا حاجة، وفتحية دي خلاص مع جوزها وعيالها، بس أنتِ حب العمر كله". تضحك: "وأمك". فتحي: "خلاص يا صـباح". يذهب للزبالة، يتقيأ فيها. صـباح: "سلامتك يا راجل".

فتحي: "اوعي، ما تجيبي السـيرة دي، الله، هو السـاعة كم؟". صـباح: "والله مانا عارفة بجد". فتحي يضـرب وجهه: "يا لهوي، العمل! الميت!" يقفز مرة أخرى: "يا صباح، ما صحتيني للجنازة، هو انتي بتحاولي تقتليني، عاوزاني أدفنه في الليل تاني، عاوزاهم يتلبسوني تاني".

صباح بغضـب: "بقولك إيه، لو مش حتسيب الشغلانة دي، حمشي من البيت، انت فاهم؟"

فتحي: يضرب كفه بكف، "حقولها إيه المرة دي، والله!"

صباح: "باين القراءة نفعت معاك يا فتحي".

فتحي: يصيح، "ما تقرأيش تاني، سامعة ولا لأ؟"

صباح: "أعوذ بالله، إيه يا فتحي، مالك! ده كلام ربنا".

فتحي: يهدد، "لو قريتي مش حنام جنبك، فاهمة؟"

صباح: "طيب، استهدى بالله كده".

فتحي، وهو يصيح: "والله، طب اسمعي، أنا مش هدفن في أي جنازة في الليل، إن شاء الله لو يموتوني تاني، مش عاوزهم يقتلوني ويشـــلوكي. دي مفترية وتعملها، أنا حدفنه في أي وقت وأخلص".

صباح: "برضه يا فتحي".

يفتح فتحي الدولاب، يحمل عملًا جديدًا كان مخليه بعيدًا عنها، ويخرج سـريعًا. كادت تمسـك به صـباح، لكن لم تسـتطع الاقتراب، وظلت تتعوذ، ولكنها في نفس الوقت أحسـت براحة نفسـية شـديدة بعد خروج العمل من الدولاب، وتنهدت بعمق: "يا رب افرجها من عندك، يا رب".

يطبطب على ظهرها عمر: "الســت دي لازم تموت، والله، راح أموتها وأخلصـكم منها". يضـغط على ظهر أمه وكأنها أحسـت براحة شـديدة لا تعرف مصـدرها. غمضـت عينها صـباح وابتسـمت، واستلقت على الكنبة: "ربنا يحميك، يا رب يا فتحي ويتوب عليك".

يدق الباب بشدة، تقوم صباح لفتح الباب: "يا رب تكون انت يا فتحي". تفتح الباب، وإذا برجل يلبس بدلة أنيقة نظيفة، يسلم: "هي الست هانم موجودة؟" كادت صباح أن تغلق الباب

في وجهه، وفي نفسها "هو انت منهم؟" حاولت كظم غيظها وبثقل: "اتفضل بس هو ابنها مش موجود دلوقتي".

ينظر الرجل إليها بأدب شديد: "معلش، أصل لازم أقابلها بسرعة، لأني مسافر".

صباح بقرف: "هي أوضتها على إيدك اليمين".

يدخل الرجل، يدق الباب. ظل يدق طويلًا، فتحت زينات كادت أن تصيح، لكن أناقته جعلتها تسكت وتبتسم بأدب شديد، وبوجه متسخ من نومة طويلة تأملته من فوق لتحت. ابتسمت: "اتفضل". يدخل الحجرة ويغلق الباب.

"إزيك يا هانم؟"

زينات ما زالت مبتسمة: "بخير، وأنت حتكون بخير".

يبتسم الرجل: "ده أنت فعلًا بقى ست هانم وكمان شيخة".

زينات: "حاجتك عندي يا سي ياسين".

ينظر إليها ويستغرب: "هو أنتي عرفتي اسمي كمان؟"

زينات، وهي تنظر في عينيه: "احنا ما بنهرجشي".

الرجل: "طبعًا، طبعًا، أنا مش حطول عليك، أنا عندي شركة كبيرة أوى في مصر، أنا مشارك واحد غتت معايا حبتين". ويوطي صوته ويكمل: "بصراحة عاوز أتخلص منه".

تبتسم زينات: "نقتله؟"

الرجل: "يا ريت، تقتليه، تدبحيه، تجننيه، تحبسيه، المهم يغور بعيد عني، واشتري نصيبه ببلاش وما يقدر يقولي تلت التلاتة كام".

تهز رأسها زينات: "كل حاجة من اللي قولتها لها تمن".

الرجل: "أؤمريني".

تهز رأسها: "أنت في جيبك حاجة؟"

يبتسم الرجل، يخرج قطعة من الملابس لشريكه ويعطيها في يدها، ويخرج من جيبه الآخر كمية من الدولارات الكثيرة ويضعها أمامها.

تبتسم: "اعتبر الأمر منتهي".

الرجل: "أسبوع كمان وأجيلك".

تضحك زينات: "مش راح تيجي، انت حتشوف من مكانك". يقبل رأسها الرجل ويخرج منتصرًا.

يدخل فتحي الحجرة، يغلق الباب: "يما الحقيني"، كان متعرقًا.

نظرت له زينات، أمسكت بكوب من الماء، ترشه فوقه: "فوق يا فتحي".

ارتجف في يدها، وهي تنظر لعينيه: "مالك؟"

فتحي ما زال يرجف، لا يرد. تصفعه زينات بقوة: "فوق بقى".

فتحي ما زال يرجف: "دفنته، دفنته".

زينات: "بالليل تاني؟"

فتحي: "آه، يما، خلص الأمر بتاعك، ما أخرتوش زي ما انتي عاوزة".

زينات، تغضب: "هو أمري كان بالليل يا فتحي؟"

تذهب إلى المطبخ، تأتي بمبخرة، تأخذ بخورًا من دولابها وتبخر الحجرة. يهدأ فتحي، تجحظ عيناه، وتهدأ أنفاسه، لكنَّ عينيه تحملقان لسقف الحجرة. تقترب منه زينات وتحاول إقناعه، مستغلة لحظة ضعفه: "اسمع يا فتحي، المرة الجاية عاوزاها بالليل، وعاوزين قطعة من جلد الميت، استغفر الله، قصدي الأسياد اللي عايزينها".

فتحي كان يتعرق وما زالت عينه للسـقف. تكمل زينات: "المرة دي فيها فلوس جامدة وجامدة أوى، افهم ياله".

فتحي ما زال ينظر للسقف، تهزه زينات: "بكرة زي الوقت ده، يلا قوم، مدد جتتك".

يمشـــي فتحي من عندها، يترنح، يدخل على صـــباح. تصيح صباح، وهي تراه بهذا الشكل: "بسم الله الرحمن الرحيم!" يرمي فتحي نفسه على السرير، وبصوت متهدج: "اقرئي عليَّ..."

تبدأ صـباح تنفث عليه: "ليه يا فتحي، ليه تطاوعها تاني، ده انت بتموت كده".

يبـدأ فتحي يلين في يـدهـا، وبرد عرقـه. يفتح عينيـه وهو يدمع: "أنا مش عاوز أعمل كده، أنا مش كده، أنا خايف عليكي لا تقتلك". صباح، وهي تمسح عرقه: "إيه اللي جابرك؟"

فتحي: "أحس إنه حد يجرجرني غصـــبًا عني، أنا عايز أعرف أنـا ابن مين؟ مش عـاوزة تنطق أبـدًا. صـــبـاح: "عنهـا مانطقت، ربنا يعرفك، هو أكبر من كل حاجة، وقلت لك مش حتنطق".

فتحي: "وولادي؟"

صباح تجحظ عينها: "عمر وحور!"

فتحي ينظر لوجه صباح: "بقصد إنهم وحشوني جدًّا".

عمر يقترب من أبيه: "أنت اللي وحشتنا أوي، مش حسيبك أبدًا".

بدأت ليلة جديدة على هذا المنزل المشؤوم. كان فتحي يجلس متربعًا على السرير، يفكر في طلب صباح الغريب القذر، وبهمس: "هو أنا في الليل وحصل لي كل ده، إزاي حقطع في الميت، إيه القرف ده؟" كان يتعرق كثيرًا، ويفكر: "ده لو ماجبته، تكون قتلاني. دي مفترية وتعملها، أنا عملها وأخلص منها".

تسلل فتحي وخرج من البيت. كان الليل هادئًا في المزارع، مشى كثيرًا حتى وصل للمقابر. لم يحس بالتعب الجسدي من كثرة التفكير: "الحمد لله، ما فيش ميت بيدفن". مرت من جنبه قطة، قفز منها مفجوعًا لكنه نظر لها: "ليه ما أجيب لها لحم قطة؟ آه والله فكرة، مش أهون من لحم الميت المسكين".

فكر كثيرًا، نادى القطة، وكانت تتمسك في ملابسه. أشفق عليها: "أومال، أعمل إيه أنا مع الميت؟" أمسك بها،

قامت على كتفه ولعقت وجهه: "أنا أوكلك، وأدبحك، كويس كده؟". لكن القطة ظلت تلعب معه، حك رأســـه: "طيب، ما آخد قطة ميتة؟ وأنا منين أجيب قطة ميتة دلوقت؟ طيب، ما أحسن أدور وأجيب فار. هو مش شبهنا، وأنا حلاقي الفار دلوقت فين؟ أنا مروح ولا الصبح؟ آه، بس دي عاوزاه في الليل".

فجأة، أحس بلحم طري يمشـــي على قدميه. نظر ورأى فأرًا فعلًا يجري، لحقه فتحي وجرى خلفه حتى وصـــل للمزبلة ودخل فيها: "والله لأنا جايلك يا ابن الكلب!" ضـــرب فتحي صـندوق القمامة الكبير، سـقطت القمامة على الأرض، لكن بلا فأر. نظر هنا وهناك وصـار يفرق القمامة حتى أحس بشـيء يجري بين قدميه. جرى وراءه فتحي حتى أمســـك بذيله وأخفاه بين ملابســه وعصــره حتى يموت، لكنه ســمع صــوتًا مكتومًا: "خلي عندك ضمير، وهات لحم إنسان ماتتشطر علينا!"

جرى فتحي بسرعة حتى سقط وأكمل حتى وصل للبيت، وأغلق الباب ودخل حجرته وتغطى بفراشـــه يرتجف خائفًا. كان عمر وحـده يفكر فعليًّا في قتـل زينـات. دخـل حجرتهـا وأغلق

الباب، كانت لمبة الجاز بدأت تخفت، ورأى زينات تجلس متربعة وسط حجرتها، متوشحة بالسواد، ورائحة البخور الخبيث تتصاعد من جنبها وهي تتمتم بكلمات غير مفهومة.

فجأة، سكتت، صارت تحدق في عمر تحديقًا خطيرًا. صار ينظر لها: "كله منك أنتي يا وش النحس والخراب اللي ماله نهاية! أنا لازم أموتك". حاول عمر الاقتراب، وهي تنظر له دون أن ترمش. مدد يده فعلًا ليخنقها، لكن توقفت يده تمامًا. شُل عمر وسقط على الأرض وصار يتشنج ويرغي من فمه، وهي ما زالت تنظر له. كانت أصعب لحظة في حياة عمر.

فجأة سمع صوت صباح وهي تقرأ: "آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون ". فُكت كف عمر.. هدأ عمر ورجع رويدًا رويدًا لحالته الطبيعية. أكملت صباح: "لا يكلف الله نفسًا".

سقطت زينات إلى أن وصلت لنهاية سورة البقرة. صرخت زينات وتشنجت وجحظت عيناها كأن أحدًا يخنقها فعليًّا. ازرقَّ وجهها واسودَّ وصرخت صرخة الموت. صار عمر يبحث عن أي

شـيء يضـربها به حتى يتأكد من موتها، ولكن انتبه أنها سـكتت وسـكت عويلها. رآها صـامتة بلا حراك، أمسـك يدها، سـقطت، لقد ماتت زينات.

فزع عمر، ركلها بقدمه، لم تتحرك. التصـــق عمر بالجدار من منظرها المفزع. كان وجه زينات متفحمًا أسود بلا ملامح.

دخل فتحي الباب: "مســـا الخير، يما". انتبه فتحي أن اللمبة انطفأت تمامًا: "إيه، يما، مش عاويدك تنامي بالليل؟" كان فتحي خائفًا منها لســـؤالها عن لحم الميت. يناديها: "يما، هو... اســـكتي، ما كنت حروح المقبرة الليلة، بس الله، يما، كنت تعبان وجسـمي يرن على من السـخونية. إيه، يما، ماترديش عليَّ ليه؟" يهمس فتحي: "أما أجيب لمبة من عندي، يمكن خرجت. أنا مش شايف حاجة في الضلمة دي".

يخرج فتحي ليسقط عمر مغشيًّا عليه.

يتبع في الجزء الثاني.